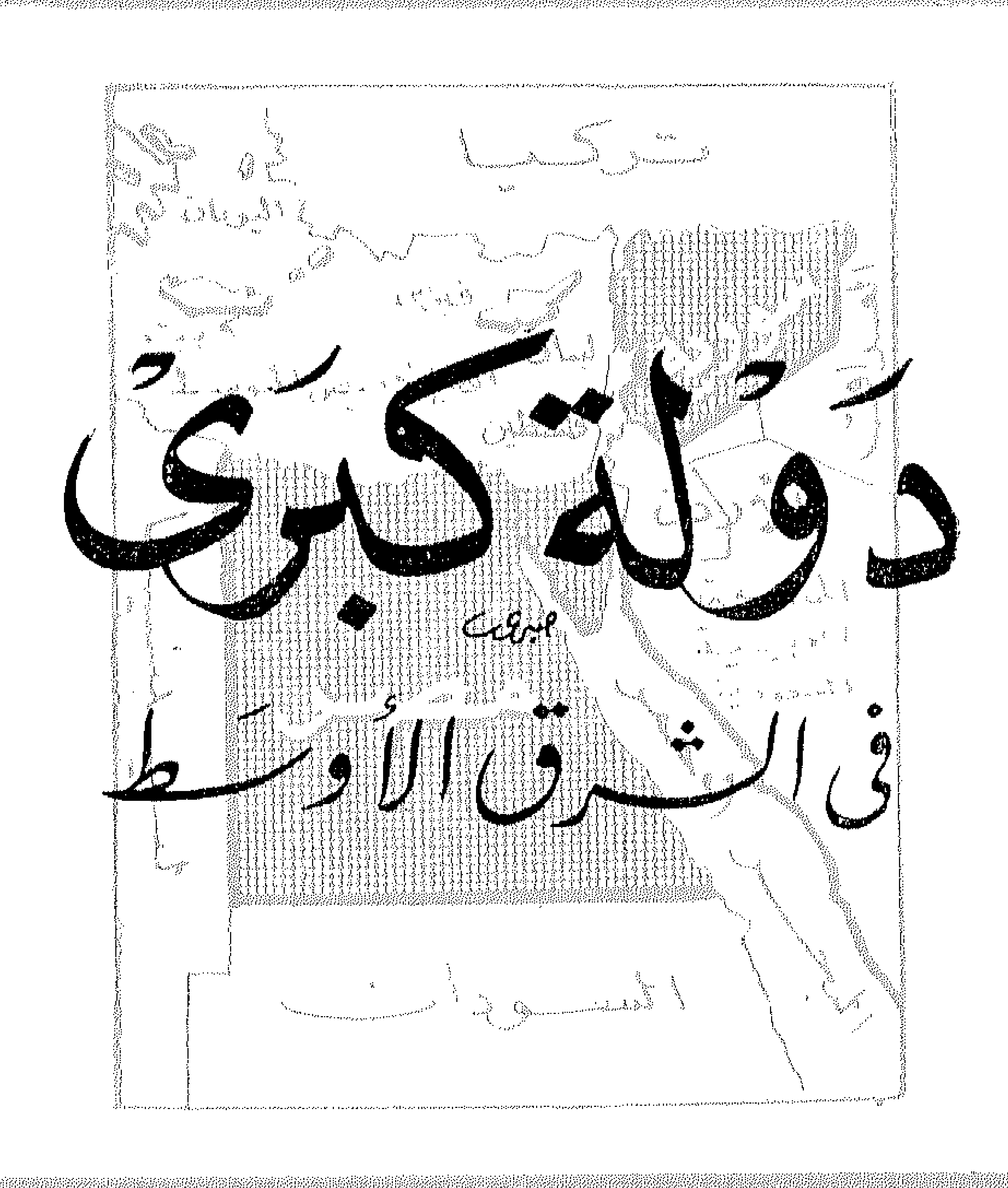
كتب سياسية

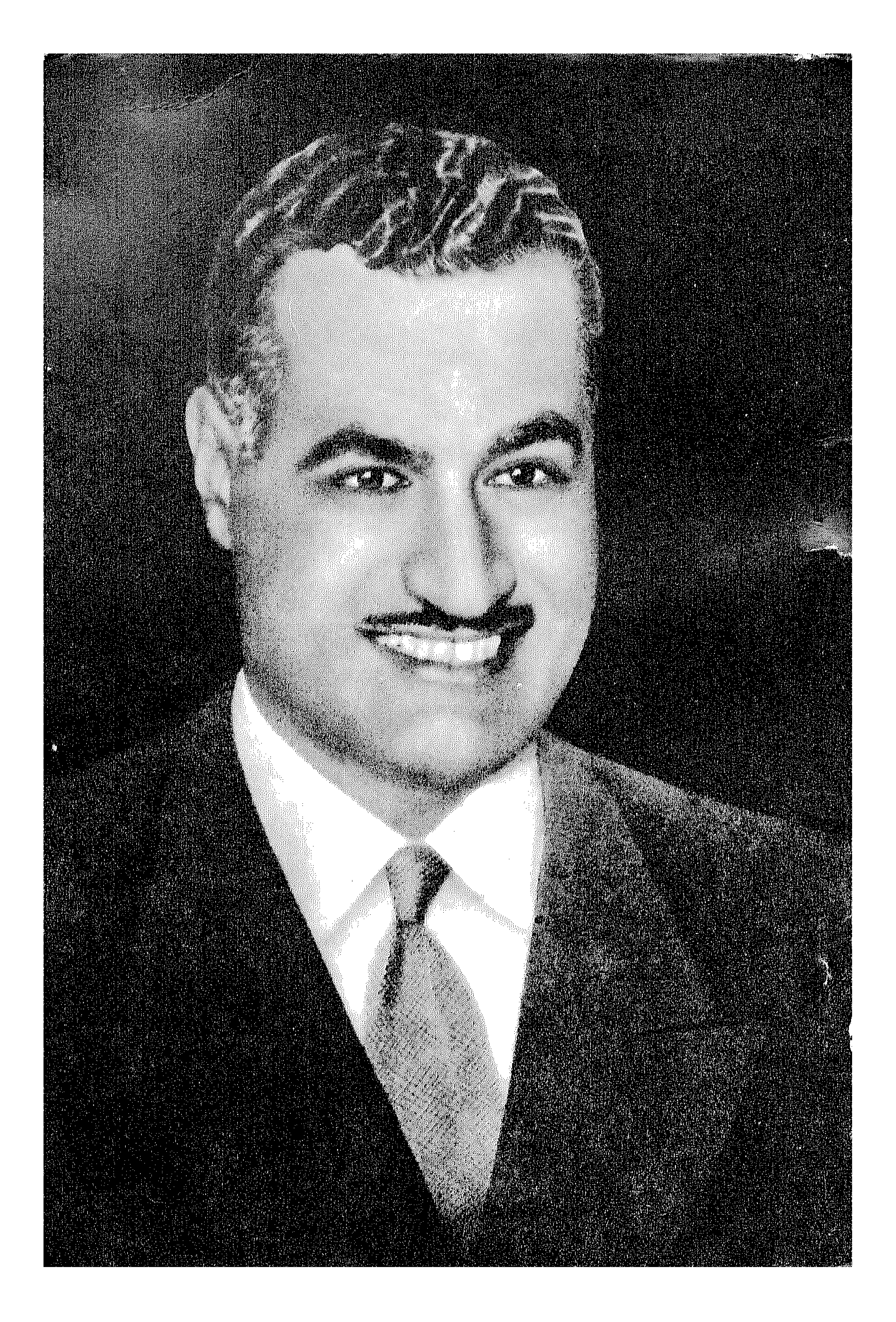
الكتاب الواحد والخمسون

مجموعة عربية ١٠٠ ٪



دولة كبرى في الشرق الأوسط

عبد المنعم شميس



كتب سياسية

الكتاب الحادى والخمسون

دولة كبرى

فى الشرق الأوسط

عبد المنعم شميس

مقدمة

لقد قامت دولة كبرى فى الشرق

كلمة كبيرة ... مستقبل ضخم .. انطلاق حر ... سياسة أجيال تنبت الآن على ضفاف بردى وعلى ضفاف النيل . وتنبت أيضا فوق كل نهر يجرى فوق أرض العرب .. بل تنبت فى قلب الصحراء، وفوق قمم الجبال .

أجيال قادمة سريعة متلاحقة تبنى مجدا جديدا للعرب .

أجيال قوية طامحة لم تخضع لاستعمار ، ولم تحن رءوسها الا لله الواحد الاحد الفرد الصمد .

أجيال ... تعيش مع الحرية والعزة والكرامة

أجيال ... لم يستعبدها طاغية مستبد ، ولم يستنزف دماءها غاصب مستعمر ، ولم يطعن قلوبها ذليل حقير كان مطية لأجنبى دخيل ، أو رقيقا لشهوة ذليلة ، أو مستغلا لأرزاق الناس .

أجيال صاعدة ... تحلم الآن بغد خير من يومنا ، وتعد نفسها لرسالة أضخم من رسالتنا .

أجيال منطلقة ... حطم قيودها رجل ، وأطلقها من أسرها رجل، وحررها من عبوديتها رجل .

رجل .. قال بالأمس :

لقد قامت دولة كبرى فى الشرق

هذا الرجل ... رأيت فيه ورأى معى الملايين من أبناء الأمة العربية : أمل المستقبل ، ورجاء الملايين ، وانطلاق الحرية .

وهو لا يمثل انسانا يعيش بيننا كما نعيش ، ولكنه يمثل فكرة ظللنا نحلم بها منذ مئات السنين ، وقد أصبحت الفكرة عملا ، وأصبح الحلم حقيقة .

أصبحت الفكرة دولة كبرى فى الشرق

وأصبح الحلم دولة كبرى فى الشرق

دولة كبرى كما وصفها الرجل الذى بعث كل الآمال فى قلوبنا، وجعلنا جميعا نرفع رءوسنا التى انحنت فى الماضى للذل والعبودية والاستعمار والانتهازية والاستغلال ٠

دولة كبرى فى الشرق ٠٠٠ ليست دخيلة فيه ، ولا غاصبة ٠٠٠ ليست عادية عليه ، ولا متعدية ٠٠٠

دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف ،توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز ، تؤكد العدل ، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ، لمن حولها ، للبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق ٠

هذا الرجل تنحنى له الملايين احتراما لا رغبة ولا رهبة ٠٠

هذا الرجل فجر جديد فى حياتنا ٠

وهذه الدولة فجر جديد فى حياتنا ٠

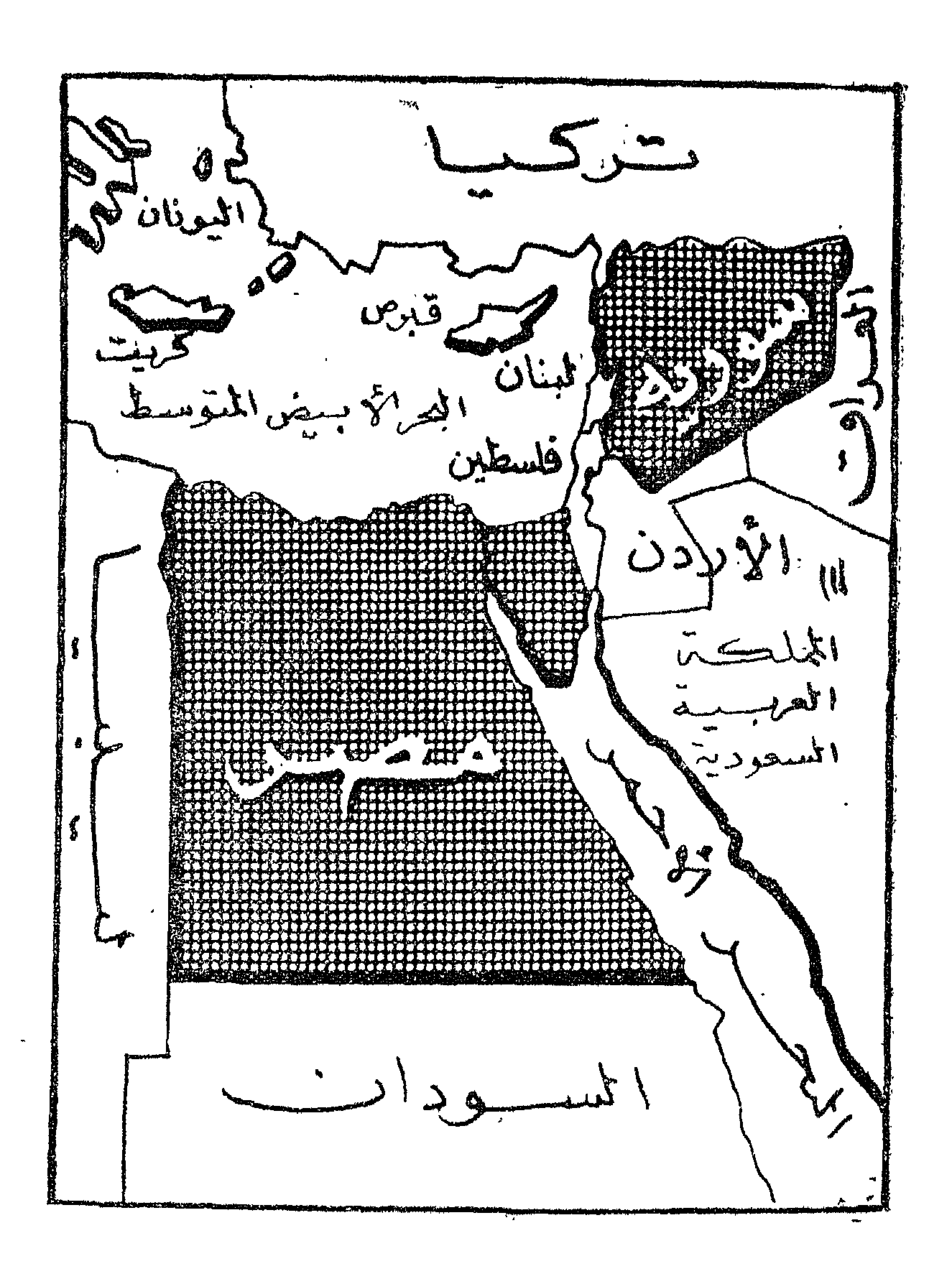
وبعد لحظات من تاريخنا سوف تطلع الشمس لتحقق أمل الرجل الذى بنى حياتنا ومستقبلنا ، ولتبعث الحـــرارة والنور فى دولة العرب ٠

سلام للرجل الذى قال لنا :

« لقد قامت دولة كبرى فى الشرق »

وسلام للدولة الكبرى فى انطلاقها وتقدمها ، وحضارتها وبنائها للمجد العربى الجديد ٠

عبد المنعم شميس


تركيا
اليونان
قبرص
كريت
لبنان
البحر الأبيض المتوسط
فلسطين
الأردن
المملكة
العربية
السعودية
مصر
السودان

مولد الجمهورية العربية المتحدة

كتب ادوار سابليه المحرر السـياسى لجريدة (لموند) الفرنسية مقالا قال فيه : ان مولد الجمهورية العربية المتحدة حدث لا ينبغى أن يدعو الى الدهشة ، لأنه موضوع النهضة العربية الذى راود أذهان الشعوب العربية على مر القرون .

ومنذ الحرب العالمية الثانية طفقت الحركة العربية تؤكد أن هدفها الاسمى هو تحقيق وحدة تستطيع أن تبعث أمجاد الماضى ، وتقف فى وجه أعداء الحاضر . ومن ثم فان مشرق الدولة العربية الجديدة سيبهز الرأى العامالعربى بأسره .

ويفسر سابليه قيام الجمهورية الجديدة تفسيرا مستندا الى الواقع التاريخى ، حيث يقول :

١ ـ ان مصر وسورية كانتا أول من أقـدم على تحقيق الوحـدة فمهدتا الطريق منذ أمد طويل لها ، حيث نص دسـتورهما على أن شعبيهما جزء لا يتجزأ من الأمة العربية .

٢ ـ ان التطور الذى أدى الى الوحدة قد حدث منذ أمد طويل فى سورية ومصر على السـواء ، وكان نتيجة لحركتين ثوريتين كانت أهدافهما القومية تتحدد داخل نطاق القومية العربية .

٣ ـ ان الاجراء الذى تم فى القاهرة يوم أول فبراير سنة ١٩٥٨ ليس الا مرحلة من مراحل الحركة الثورية فى العالم العربى ، وأن هذه المرحلة الجديدة من مراحل كفاح القومية العربيـة انتفاضة جـديدة ستقلب الاوضاع فى سـياسة الشرق الأوسط .

وهذا التفسير لقيام الدولة الجديدة كما قدمه كاتب فرنسي يحمل من معاني الواقعيـة ما يلفتنا الى محاولة بعض كتـاب الغرب تفهم حقائق القومية العربية التي انبعثت من فكرتها الجمهورية العربيـة المتحدة ٠

ويدفعنا هذا الى بحث أصداء قيام هذه الجمهورية في المعسكرات الاستعمارية الغربية التي بدأت تفكر في تأليف جبهـة في الشرق الأوسط تحاول بها دفع تيار القومية العربية نحو المحور الغربي عن طريق جمع بعض البلاد العربية لتحقيق هذه الغـاية خارج حلف بغداد الذي حطمته القومية العربية في صعودها ٠

واذا كان قيام الجمهورية الجديدة ، قد دوى في أرجاء العالم كنقطة ابتداء لسياسة جديدة تؤثر وتتأثر بالسياسة العالمية في مسيرها واتجاهاتها ، فان بحث هذه الدولة الكبرى تحت أضـواء الواقع التاريخي والجغرافي والسياسي مما يجب أن نقدمه للقارىء العربي ٠

وهدف هذا البحث ، هو دراسة الدولة الكبرى على أسس علمية منهجية ٠

واذا كانت هذه الدولة الكبرى قد قامت وفقا لرغبات الشـعب العربي في سورية ومصر ، فان هذا الشعب نفسـه هو الكفيل بانمائها ٠ والسير بها الى الامام ، وتحقيق الهدف الكبير الذي سعى اليه عند اقامتها ، وهو : انبعاث القومية العربية ٠

وهناك ناحيتان يجب الالتفات اليهما عند بحث مقومات هـذه الدولة الكبرى :

أولاهما : الحياة المادية لهذه الدولة ٠

ثانيتهما : الحياة الروحية لها ٠

ونقصد بالحياة المادية للدولة الجديدة ، جميع مقومات حياتها المادية التى تتكون بها حياة الملايين من أبنائها ٠

كما نقصد بالحياة الروحية ، جميع مقومات حياتها الفكرية والنفسية التى تكون القيم والمثل للملايين من أبنائها ، وتستند فى كافة صورها الى مقومات الحياة المادية ٠

وقد كان مولد الدولة الكبرى مقترنا بهاتين الناحيتين ، مستمدا قوته من الأسس المشتركة بين أبناء الاقليمين اللذين يكونان الجمهورية العربية المتحدة ٠

الحياة المادية

الفصل الأول

جغرافية الجمهورية

تنقسم الجمهورية العربية المتحدة الى اقليمين هما :

١ ــ سورية

٢ ــ مصر

سورية :

تقع في الشمال الغربى من آسيا ، وتشرف على الحوض الشرقى للبحر الأبيض المتوسط ، كما أنهـا فى موقع اتصال القارات الثلاث :

آسيا وأفريقيا وأوربا ٠

تمتد سورية « بلاد الشام » من جبال طوروس شمالا حتى خليج العقبة وصحراء سيناء جنوبا ، ومن البحر الأبيض المتوسط غربا حتى العراق شرقا أى من خط عرض ٥ر٢٩ درجة الى ٥ر٣٧ درجة شمالا ، ومن خط طول ٣٦ درجة الى ٤٢ درجة شرقا ٠

وكانت سورية تعرف دائما باسم بلاد الشام بحدودها الجغرافية الطبيعية التى ذكرتها ، وظلت كذلك حتى الحرب العالميـة الأولى فكانت تشمل سورية الشمالية ، وسورية الجنوبية (فلسطين وشرق الاردن) وتمتد حدودها حتى العريش جنوبا ، وأضنه ومرسين شمالا ، كما كانت مقاطعة كليكيا داخلة فى حدودها ٠

وبعد هزيمة تركيا فى الحرب العالميـة الثانية ، عقـدت معاهدة « سيفر » بينها وبين الحلفاء فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٢٠ ، وقـد قسمت نصوص هذه المعاهدة سورية الى قسمين :

١ — القسم الشمالى ، ويضم سورية الحالية ولبنان ، وكانتا من نصيب الانتداب الفرنسى .

٢ — القسم الجنوبى ، ويضم فلسطين وشرقى الاردن ، وكانتا من نصيب الانتداب البريطانى .

وأصبحت حدود سورية فى وضعها الحالى ، تحدد جغرافيا على الوجه التالى :

الحدود الشمالية : كانت حـدود سورية الشمالية قبل استيلاء الأتراك على لواء الاسكندرونة فى سنة ١٩٣٨ ، تبدأ جنوب باثياس على خليج الاسكندرونة ، أما الآن فيبدأ خط الحدود الشمالية على البحر جنـوبى الاسكندرونة ، ويخرج شمال قرية البدروسـية الواقعة شمال رأس البسيط ، ويتجه نحو الشرق حتى قرية كسب مخترقا الجبل الاقرع ، ثم ينحرف قليلا نحو الجنوب الى أن يصل الى وادى النهر الكبير الشمالى ، ثم يصعد نحو الشمال متاخما لنهـر العاصى ومارا قريبا من حارم ، ويتجه نحو الشمال مارا بسـهل العمق ومحاذيا للنهر الأسود حتى يصل ميـدان اكبس . ومن هناك يؤلف عدة أقواس باتجاه الشرق مارا بجنوب كلس ومحطة جوبان بك ، حتى يصبح الخط الحـديدى هو الحد الفاصـل بين سورية وتركية ، ثم يجتاز « جرابلس » على نهر الفرات وتل أبيض على نهر البليخ ، ورأس العين على نهر الخابور ، وعندما يصل الى القامشلى المتاخمة لنصيبين التركية يدخل الخط الحديدى الاراضى السورية بينما يستمر خط الحدود بعد نصيبين متجها الى الشمال الشرقى حتى قرية عين ديوار على نهر دجلة ، ويقابلها فى تركية مدينة (جزيرة ابن عمر) .

الحدود الشرقية : تحـاذى الحدود السورية نهر دجـلة بمقدار

٥٠ كم بين جزيرة ابن عمر وفش خابور ، ثم تنعطف نحو الجنوب حتى مدينة بوكمال على الفرات ٠

الحدود الجنوبية : يمتد خط مستقيم بين بوكمال وجنوب جبل الدروز ، فيفصل سورية عن العراق وشرق الاردن ، وتؤلف الحدود قوسا فى جنوب جبل الدروز ، ثم تساير الخط الحديدى قرب درعا حتى سمخ الواقعة جنوب بحيرة طبرية ٠

ثم تتجه نحو الشمال باتجاه الضفة الشرقيـــة من نهر الاردن وبحيرة الحولة حتى بانياس ، ومنها تسير نحو الغرب قليلا قاطعة الاردن ، ثم تنزل نحو الجنوب موازية الضفة الغربية لنهر الاردن حتى شمال صفد الواقعة فى فلسطين ، ثم تسير نحو الغرب لتلتقى بالبحر عند رأس النافورة ٠

الحدود الغربية : الحدود الطبيعيـة على البحر المتوسط بين رأس النافورة جنوبا والبدروسية شمالا ، بعد اقتطاع لواء الاسكندرونة من سورية :

مساحتها : تمتد سورية الشماليـــة بين درجتى عرض ٥٣٢ ــ ٥٣٧ شمالا ، وبين درجتى طول ٥٣٢ ــ ٥٤٠ شرقا ، وتبلغ مساحة سورية ١٨٤ر٣٧٩ كيلو مترا مربعاً وطول حدودها يبلغ ٢٢٧٤ كم ، وطول ساحلها ١٧٣ كم ، وطول حدودها مع تركية ٨٠٨ كم ، ومع العراق ٥٩٢ كم ، ومع شرقى الاردن ٣٥٣ كم ، ومع فلسطين ٧٠كم ، ومع لبنان ١٧٨ كم ٠

طبيعة الأرض : تتألف تربة بلاد الشام من ثلاثة أنواع رئيسية هى السبب فى ثروتها الزراعية :

١ ــ الصخور الكلسية ، ٢ ــ البازلتية ، ٣ ــ اللحقية الليمونية

وأما التضاريس فانهـا بسيطة التركيب الطبيعى فى سـورية ، وهيكلها الاساسى مكون من سلسلة جبلية مرتفعة تساير الساحل ،

وتنقسم الى سلسلتين شرقية وغربية ، بينهما غور منخفض ، وفى شرق هذه الجبال تمتد بادية الشام ، بينما يطل عليها من الغرب البحر الابيض المتوسط ٠

أما فيما بين هذه الجبال والبحر ، وفيما بينها وبين البادية ، وفى الغور الذى يشقها ، فتنبسط سهول خصبة تقوم عليها ثروة سورية الزراعية ٠ وتتدفق الأنهار فى سورية بأنحاء وأشكال مختلفة ، ويمكن تقسيمها الى أربعة أقسام :

١ ـ الأنهار الساحلية وأشهرها النهر الكبير الشمالى وطوله ٨٠كم منها ٥٦ كم فى سورية ، وينبع من جبل الاقرع ويصب فى جنوب اللاذقية ٠

٢ ـ أنهار الغور : وأهمها نهر العاصى ، وطوله ٥٧١ كم ، ومنها ٣٢٥ كم فى سورية ، وعند حمص يؤلف بحيرة قطينة ويروى بساتين وسهول حمص وحماة ٠ وينبع نهر العاصى من هضبة بعلبك ويصب فى السويدية بعد مروره بأنطاكية ٠

٣ ـ الأنهار التى تفيض فى الداخل : وأشهرها نهر بردى ، ينبع من الزبدانى ، وتفيض مياهه فى بحيرة العتيبة ، ويمر بدمشق وتتفرع منه سبعة فروع لها أهمية كبرى فى السقاية ،وطوله ٧١ كم ٠

٤ ـ الأنهار التى تجتاز سورية : أهمها نهر الفرات وطوله ٢٢٣٠ كم منها ٦٧٥ كم فى سورية التى يدخلها عند جرابلس، ويبلغ عرضه عند دير الزور ٥٠٠ م ٠ وقامت الحكومة بجر مياهه الى حلب بمشروع كبير ٠ وبعد أن يمر بالأراضى السورية يدخل أراضى العراق ، أما نهر دجلة فهو يساير الحدود السورية مقدار ٥٠ كم ٠

البحيرات : أهمها بحيرة (الملطخ) و (سبخة الجبول) و (العتيبة)، و (الهيجانة) و (قطينة) ٠

والنباتات فى سورية مختلفة ، ففى الشمال بالامانوس نجد أشجارا أوربية خالصة كالزيزفون والسنديان ، وفى الجنوب نباتات افريقية ونباتات الصحراء العربيـــة كالبلح الذى ينبت فى تدمر والسخنة ٠

أما الشريط الساحلى فهو تابع لنباتات البحر المتوسط ، ولذلك فان ســـورية تنتج مختلف المزروعات ، ومن أهمها الحبـــوب على اختلافها ، والقطن والثمار ٠

مصر :

تبلغ مساحة مصر نحو مليون كيلو متر مربع ٠

وينقسم سطح مصر الى الاقسام الآتية :

١ — وادى النيل والدلتا

٢ — الصحراء الشرقية ٠

٣ — الصحراء الغربية

٤ — شبه جزيرة سينا

وادى النيل والدلتا : يسير النيل عند دخوله مصر فى واد ضيق تحف به هضبات من الصخور الرملية حتى مدينة اســـنا ، ومن الصخور الكلسية حتى القاهرة حيث جبال المقطم ، ويضيق الوادى جنوب أسوان ويختفى عند كلبشة حيث لا يزيد اتساعه عن ٢٠٠ م وفى جنوب أسوان يوجد الجندل الاول وهو جزر صخرية تعترض مجرى النهر ويكون انحداره ١/١٣٠٠ أما اتساعه فيكون ٣/٤ ك.م. وفى شمال أرمنت تعترض مجرى النهر هضبة كلسية فى الغرب تجعله يكون ثنية نحو الشرق ثم يتابع سيره شمالا ، وفى شمال قنا تعترضه هضبة كلسية فى الشرق ، فيتجه غربا حتى نجع حمادى ثم يتابع سيره شمالا الى القاهرة وتسمى هذه الثنية بثنية قنـا وفى

شمال أسيوط يتسع الوادى فى العرض الى ٢٠ كم ويكون عرضه فى الغرب من النيل أكبر منه فى الشرق حيث يقترب النيل كثيرا من الهضبة الشرقية فى بعض الجهات ، وفى شمال القاهرة يتفرع النيل الى فرعين : فرع شرقى ، ويصب عند دمياط ، وفرع غربى ويصب عند رشيد ، وقد كان للنيل عدة فروع أخرى ردمها برواسبه ، وقد استغلها المصريون فى شق قنوات الرى مكانها ، والدلتا على شكل مثلث رأسه من القاهرة وقاعدته على شاطىء البحر وعرض قاعدته ٢٠٠ كم وينحدر النيل من القاهرة حتى المصب ١٧ م أى بمعدل ١ م كل ١٠ كم وأرض الوادى والدلتا خصبة حيث تتكون من الغرين الذى أتى به النيل من الحبشة تعلوه طبقة من الرمل تعلو بدورها طبقة من الحصى التى تعلو الطبقة الصلبة ، ويبلغ سمك التربة فى الدلتا ١٠ م تقريبا ، ويقل خصب التربة فى شمال الدلتا حيث توجد فيها الأملاح ، وعلى حافتى الصحراء حيث تزداد نسبة الرمل من الصحراء المجاورة فى الشرق والغرب ٠

وتوجد بعض البحيرات المالحة المتصلة بالبحر فى شمال الدلتا وهى بحيرة المنزلة فى شرق الدلتا والبرلس فى وسط الدلتا وادكو ومريوط فى غربها ، وتبلغ مساحة وادى النيل والدلتا ٣٢ ألف كم٠

الصحراء الغربية : تمتد من وادى النيل حتى الحدود الليبية وهى سلسلة من الهضاب تفصل بينها المنخفضات التى أكبرها منخفض القطارة الذى عمقه يصل الى ١٣٤ م تحت سطح البحر ، ويقع فى الشمال بغرب الاسكندرية ، وفى تلك المنخفضات تقوم الواحات التى تروى بمياه العيون والآبار ، وهى واحة سيوه قرب الحدود الغربية، والواحةالبحرية،وواحة الفرافرة،والخارجة،والداخلة، كما نستطيع أن نعتبر الفيوم واحة كبيرة تروى بماء النيل كما يوجد منخفض الريان جنوب الفيوم ومنخفض وادى النطرون فى شمالها ٠

وصخور الصحراء الغربيـــــة فى الشمال تتكون من الصخور الكلسية ، وفى الجنوب تتكون من الحجر الرملى ، وهـذه الصخور تعلو الطبقات الصلبة القديمة ، وفى الجزء الجنوبى الغربى يوجد جبل العوينات وهو يتكون من الصخور الجرانيتية وتكثر بهذه الصحراء الكثبان الرملية التى تهدد أراضى الواحات ٠

الصحراء الشرقيــة أو صحراء العرب : هى أقل اتســـاعا من الصحراء الغربية ، وأكثر ارتفاعا حيث تكثر الجبــــال الجرانيتية الوعرة ، وهى امتداد مرتفعات البحر الاحمر ، وهذهالمرتفعات تنحدر تدريجيا نحو الغرب ، وتنحدر بشدة نحو أخدود البحر الاحمر ، ويتراوح ارتفاعهـــا بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ م وهى أقل جفـــافا من الصحراء الغربية ، وقد قطعتها المجارى المائية والسيول فى العصور الجيولوجية الحديثـــة مكونة بها وديانا أهمها وادى العـــلاقى فى الجنوب ، ووادى قنا ، ووادى أسيوط ، ووادى طرفة، ووادى عربة فى الشمال ، وأهم جبال الصحراء الشرقية جبل الشايب وارتفاعه ٢٣٨٤ م وجبل الدخان شرق قنا وجبل حماده فى شرق أسوان ، وجبل علبة على حدود السودان ٠ وهذه الصحراء غنية بالمعـــادن وتوجد بها آبار كثيرة ولكنها عميقة ٠

شبه جزيرة سينا : على شكل مثلث رأسه فى الجنوب وقاعدته فى الشمال ، وتنحصر بين خليجى العقبة فى الشرق وخليج السويس فى الغرب من الجنوب ، أما فى الشمال فتتصل بسهول فلسطينوصحراء النقب ، كما تتصل فى الغرب بالصحراء الشرقية والدلتا ٠ والقسم الجنوبى جبال من الجرانيت والصخور المتحولة كالشست والفينش ، وفيها أعلى جبل بمصر ، وهو جبل سانت كاترين ، ويبلغ ارتفـاعه ٢٦٣٩ م وتقطع هذه الجبال وديان أهمهـــا وادى فيران من الغرب ، ووادى العريش فى الشمال، أما القسم الشمالى فيؤلف هضبة كلسية تنحدر نحو الشمال تسمى بصحراء التيه ٠

وهناك عدة جزر صخرية غير مسكونة فى البحر الاحمر عند خليج السويس والعقبة ٠

التركيب الجيولوجي لمصر : تكونت صـــخور مصر فى جميـــع الازمنة ، فالقاعدة تكونت فى الدور الاركى (الابتدائى) وهى من صـــخور الجرانيت والدابوريت والصخور المتحـــولة كالشست والغنيس ، وتظهر عارية حتى جنوب سيناء ومرتفعات البحر الأحمر، وجبل العوينات ٠ كما توجد الاحجار الكريمة كالزبرجد جنـــوب القصير ٠

وفى الدور الاول طغى البحر على مصر ، وليس يظهر من رواسبه على السطح الا ما فى سيناء بجنوب هضبة التيه أى فى شـــمال المنطقة الجبلية من وادى عربة قرب السويس ٠ وفى الدور الثـانى تكونت صخور الحجر الرملى الخراسانى فى جنوب مصر حتى اسنا وبعض أكاسيد الحديد فى شرق أسوان والحجر الجيرى والطفل فى شمال المنطقة السابعة ، وهى غنية ببقايا الحيوانات حتى ليكثر بها الفسفات قريبا من ساحل البحر الاحمر والواحات والسباعية ، كما توجد طبقات نترات الصوديوم عندها أيضا ٠

وفى الدور الثالث تكونت صخور شمال مصر وسيناء ، وتظهر هذه الصخور على جانبى وادى النيل من قنا حتى القـــاهرة ، وقد حدثت فى هذا الدور عدة حركات بالقشرة كونت الاخدود الافريقى، وشققت الصخور القديمة فظهرت الطفوح البركانية فى أبى زعبل شرق القاهرة وشمال الفيوم وأبى رواش شمال امبابه ، ومن معادن هذا الدور الزنك والرصـــاص والكبريت والبترول وملح الطعـــام وتوجد فى الصحراء الشرقية ٠

وفى الدور الرابع تكونت تربة وادى النيل والدلتا والواحات والكثبان الرملية وكان المطر ينهمر على الصحراء فى هذا الدور ، وما الوديان الصحراوية سوى مجار مائية لهذا الدور ٠

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية ..

هناك روابط وثيقة تربط أبناء الشعب العربى فى سورية ومصر، ومن أهم هذه الروابط الرابطة الاقتصادية ، ولهذا فاننا نقدم دراسة موجزة عن تطور الاقتصاد فى سورية ومصر ليرى القارىء الاسس الواقعية للوحدة الاقتصادية بين الاقليمين اللذين تضمهما الجمهورية العربية المتحدة ٠

الاقتصاد السورى : تطور الاقتصاد السورى فى السنوات العشر الاخيرة تطورا ملموسا ، فبعد أن كان زراعيا أصبح الآن اقتصاديا يشمل الى جانب الزراعة الصناعة والتجارة أيضا ٠ وتضاعف الانتاج وازداد الدخل القومى حتى أدى ذلك الى ارتفاع مستوى معيشة المواطنين ٠

وهذا التقدم ليس سوى جزء مما يمكن للبلاد أن تحققه اذ أن الامكانيات المتوفرة لا تزال كبيرة ، ويمكن أن نتحقق من امكانيات تطور الاقتصاد السورى من دراسة تطور كل قطاع من قطاعات الاقتصاد الرئيسية ، وهى الزراعة والصناعة والتجارة ٠

الزراعة : ان أول ما يتجه اليه النظر عند تقدير تطور البلاد الاقتصادى انما هو الزراعة التى تزود ثلثى السكان بأسباب العيش ، وتنتج المواد الخام الأساسية للصناعات السورية ، كما تؤلف منتجاتها الجزء الأكبر من صادرات سورية ٠ لذلك فهى بحق العمود الفقرى للاقتصاد السورى ٠

وتبلغ المساحة المزروعة الآن أكثر من ٣٫٧٠٠٫٠٠٠ هكتار منها ٥٠٠٫٠٠٠ تسقى بالري والباقي بالأمطار ، بينما لم تكن المساحة المزروعة قبل عشر سنوات تزيد على نصف ما هي عليه الآن ٠

والأراضي القابلة للزراعة واسعة ، غير أن جزءا كبيرا منها لا يزرع في الوقت الحاضر ، لأن هطول الأمطار في كثير من السنين يقل عن الحد الأدنى الضروري للزراعة الناجحة ، ولهذا أصبح الاهتمام بمشروعات الري بالغا ، ومن المحقق الوصول الى مرحلة الري الصناعي للأراضي بدلا من الاعتماد على الأحوال الجوية ٠

ويتجه المعنيون بالشئون الزراعية نحو العمل على تقدم الزراعة بتحسين المناهج ورفع مستوى العمل الزراعي وتحسين طرق استغلال الاراضي بالتشويق للعمل الزراعي لازدياد اليد العاملة وباستخدام الآلة الزراعية استخداما مطرد الزيادة ، وباتباع طرق الارشاد لوقاية المزروعات من الأوبئة والحشرات وما الى ذلك ٠٠ وبفضل هذه العوامل كلها تضاعف الانتاج الزراعي في السنوات الاخيرة ٠

أما الزراعات الرئيسية في البلاد فهي : القمح والقطن والعدس والحمص والفول والفاصوليا والارز ، ثم القطن والتبغ والقنب والفواكه والخضروات ٠

الصناعة : لقد عرفت سورية الصناعة منذ القدم ، غير أن هذه الصناعة ظلت الى وقت قريب مقتصرة على الصناعات اليدوية وبعض الصناعات الآلية البسيطة ، وتعتبر فترة الحرب العالمية الثانية نقطة تحول مهم بالنسبة للصناعة في سورية عندما انخفض الاستيراد وانعدم في بعض الحالات ٠

ثم جاءت فترة ما بعد الحرب التي حققت فيها الصناعة السورية أكبر تقدم عرفته البلاد ، فاتسعت الصناعات المعروفة ونشأت

صناعات جديدة الى جانبها ، وقد ظلت الصفة الغالبة على عملية التصنيع هي اقتصارها على الصناعات الخفيفة التى تعتمد على المواد الاولية الزراعية المتوفرة فى البلاد .

ويمكن قياس هذا التقدم الصناعى بمقارنة انتاج بعض الصناعات الرئيسية بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٥٣ حيث تراوحت نسبة الزيادة فى صناعات الأسمنت والغزل والأقمشة والجلود وغيرها بين الثلاثة والعشرة الاضعاف ، وظلت هذه الزيادة مستمرة بشكل يدل على حيوية الشعب السورى واصالته الصناعية .

وكذلك نشأت صناعات جديدة أهمها السكر والزجاج والزيوت النباتية المستخرجة من بذر القطن ، وكلها صناعات تكفى الاستهلاك المحلى ، وبعضها يصدر قسما كبيرا من انتاجه والمعامل التى تخرج هذه المواد معامل حديثة واسعة من الطراز الجيد .

ان الموارد الصناعية فى سورية فى الوقت الحاضر ليست كبيرة اذا قيست بالموارد الزراعية ، ولكنها تؤلف مع ذلك جزءا مهما من الدخل القومى . واذا كانت الصناعة السورية لا تزال تنتج بالدرجة الاولى لسد حاجات السوق الداخلية فان نسبة ما يصدر من انتاجها الى البلدان العربية والاجنبية فى ازدياد مطرد .

التجارة الخارجية : تؤلف التجارة الخارجية عنصرا مهما من عناصر الاقتصاد السورى ، وتعكس الى حد بعيد التقدم الذى حققته البلاد .

لقد تميزت تجارة الاتحاد الجمركى السورى اللبنانى بالعجز الكبير المستمر فى الميزان التجارى ، ففى سنة ١٩٤٥ كان الاستيراد على أساس السعر الرسمى ثلاثة أضعاف الصادرات ، ووصلت النسبة على الاساس ذاته الى أربعة الاضعاف فى عام ١٩٤٩ . هذا بالرغم من ازدياد الانتاج فى سورية ، ويظهر ذلك جليا من الاحصاءات التالية :

السنة	الصادرات بالليرات السورية	الواردات بالليرات السورية
١٩٤٥	٤٣ر٤٨٢ر٠٠٠	١٣٠ر٦٢٤ر٠٠٠
١٩٤٦	٨٥ر٥٦٠ر٠٠٠	٢٦٦ر٦٥٤ر٠٠٠
١٩٤٧	٨٣ر٦٤٠ر٠٠٠	٣٦٢ر٧٦٤ر٠٠٠
١٩٤٨	٧٨ر٥٠١ر٠٠٠	٤٨٣ر٤٦٠ر٠٠٠
١٩٤٩	١١١ر١٠٤ر٠٠٠	٥١٦ر١٨٨ر٠٠٠

فلو فرضنا أن ٥٥ فى المائة من مستوردات الاتحاد كانت تستهلك فى سورية ، لكان أقصى ما بلغته مستوردات سورية نحو ٢٦٠ مليون ليرة سورية ، ولكن متوسط مستوردات سورية فى هذه السنوات أقل من ١٩٤ مليون ليرة ، هذا بينما بلغت مستورداتنا فى السنوات التى تلت الانفصال الجمركى كما يلى :

السنة	بملايين الليرات على أساس السعر الرسمى	بملايين الليرات على أساس السعر الحر
١٩٥١	٣٠٤	٤١٨
١٩٥٢	٣١٣	٤٤٤
١٩٥٣	٣٠٧	٤٨٤
١٩٥٤	٤٠٨	٦٢٥

وهذه المستوردات فى أغلبها ضرورية لا غنى عنها ، فهى اما أن تكون سلعا استهلاكية ضرورية لمعيشة الشعب ، أو انها مواد أولية لازمة لاستكمال نهضة سورية الزراعية والصناعية ، أو أنها وسائل نقل ومنتجات تغطية لتأمين النقل والمواصلات بين مراكز الانتاج ومراكز الاستهلاك والتصدير .

وأهم هذه السلع : المواد البترولية والسيارات والاطارات والمحركات المعدة للاستعمال الزراعى والصناعى ، والمضخات والآلات الزراعية للفلاحة والحصاد ، والآلات الصناعية والأدوات الكهربائية ، والمواد الأساسية كالحديد والفولاذ والخشب والحرير الصناعى والورق والأدوية والمواد الكيماوية .

ومن الواضح أن الاستيراد الذى يتألف من هذه السلع والمواد ضرورى لانماء الاقتصاد ، وبالتالى لزيادة الانتاج الوطنى ، ومن ثم لرفع مستوى دخل المواطنين .

وأهم البلدان التى استوردنا منها هذه المواد فى عام ١٩٥٥ هى :

اسم البلد	القيمة بالليرات السورية
بريطانيا	٥٥ر٠٢٧ر٠٠٠
الولايات المتحدة	٤٧ر٢٨٨ر٠٠٠
ألمانيا الغربية	٤٤ر٢٥٦ر٠٠٠
فرنسا	٤٢ر٧٣٦ر٠٠٠
العراق	٢٦ر٥٣٢ر٠٠٠
لبنان	٢٥ر٣٢٤ر٠٠٠
الدول الأخرى	١٦٧ر٥٧٢ر٠٠٠
المجموع	٤٠٨ر٨٢٥ر٠٠٠

ولما كانت سورية لا تملك الآن على الأقل موارد استثنائية لتمويل الاستيراد ، وحاصلاتها من الصادرات غير المنظورة محدودة ، فانها تعتمد اعتمادا كليا على ما يفيض عن حاجاتها من انتاجها الزراعي والصناعي الذي يجد له أسواقا خارجية في حماية المنافسة الدولية وبحصيلة هذه الصادرات من العملات الاجنبية تستطيع سورية أن تستورد ما تحتاج اليه ٠

وتنقسم صادرات سورية الى قسمين رئيسيين :

الأول هو المنتجات الزراعية وفي مقدمتها : القمح والشعير وغزل القطن ، والقطن الخام ومشتقاته ، والصوف والجلود والتبغ والتنباك وجذور عرق السوس والزيوت النباتية والفواكه المجففة والخضار وغيرها ، والثاني هو المنتجات الصناعية وأهمها : المنسوجات القطنية والحريرية والمصنوعات الزجاجية(١) والصابون والمصنوعات الخشبية والاسمنت وغيرها ، وقد بلغت صادراتنا خلال الاعوام الاخيرة كما يلي :

السنة	الكمية بالأطنان	القيمة بملايين الليرات
١٩٥١	٢١٢ر٠٠٠	٢٧٧
١٩٥٢	٤٩١ر٠٠٠	٣١٩
١٩٥٣	٧١٨ر٠٠٠	٣٧٥
١٩٥٤	١ر٠٥٧ر٠٠٠	٤٦٦
١٩٥٥	٤٦٥ر٠٠٠	٤٧٤

ومن هذه الأرقام يتبين لنا مدى تطور الانتاج وانعكاسه على

(١) تصدر المصنوعات الزجاجية الى أمريكا ، كما يصدر الاسمنت الى بعض البلاد العربية ٠

التصدير ، فقد ارتفعت قيمة الصادرات في غضون الثلاثة الاعوام فقط بين ١٩٥١ و ١٩٥٤ بمقدار ٦٨ بالمائة ، غير أن هـذه الزيادة لا تدل قيمتها على حقيقة الزيادة في التصدير ، نظرا لهبوط أسعار أهم الصادرات في الأسواق العالمية في عام ١٩٥٤ عما كانت عليه في عام ١٩٥١ ، والتقدم الحقيقي يظهر أكثر جلاء ووضوحا اذا قارنا الكميات التي صدرت في هذين العـامين ، فقد ارتفعت كميـة الصادرات في عام ١٩٥٤ بما يقرب من ٥٠٠ في المائة عما كانت عليه في عام ١٩٥١ ، وفي عام ١٩٥٥ حافظت الصادرات على قيمتها بفضل جودة موسم القطن بينما هبطت كميتها بسبب الجفاء وسوء موسم الحبوب في العام المذكور .

والقسم الأكبر من الصادرات هو من المنتجات الزراعيـة التي أشرنا اليها ، فقد ألفت الصادرات من الشعير والحنطة وغزل القطن والقطن الخام وبذوره والصوف ما يزيد على ٦٣ في المائة من مجموع الصادرات في عام ١٩٥١ وما يزيد على ٦٦ في المائة عامي ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ .

وأما الصادرات من المنتجات الصناعية الصرفة فقد وقفت عند حدود ١٠ في المائة من مجموع الصادرات التي بلغت ٢ر١٠ في المائة في عام ١٩٥٢ و ٩ في المائة في عام ١٩٥٣ الا أن القيمة المطلقـة للصادرات من المنتجات الصناعية في ازدياد مطرد .

وأهم البلدان التي تستورد من سورية هي حسب احصاء عام ١٩٥٥ كما يلي :

اسم البلد	القيمة بالليرات السورية
لبنان	١٠١ر١٤٠ر٠٠٠
فرنسا	٩٨ر١١٩ر٠٠٠
ايطاليا	٤٨ر٦٤٠ر٠٠٠
بريطانيا	٤٠ر٤٢٢ر٠٠٠
ألمانيا الغربية	٢١ر٣٨٣ر٠٠٠
الولايات المتحدة	٢١ر٢٨٥ر٠٠٠
الدول الأخرى	١٤٢ر٩٩٤ر٠٠٠
المجموع	٤٧٣ر٩٨٣ر٠٠٠

وكانت نتيجة ازدياد التصدير أن أخذ الميزان التجارى يتحسن ، فخف العجز تباعا منذ عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٥٣ ثم عاد وازداد قليلا فى عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٥ ثم تحسن تحسنا مجددا فى عام ١٩٥٦ نظرا لجود المواسم الزراعية . ومهما يكن فان الميزان التجارى فى بلد لم يكتمل نموه الاقتصادى يغدو فى حاجة للمعدات الرأسمالية والمواد الاولية اللازمة لاستكمال النهضتين الزراعية والصناعية . ويصعب توازنه الا على حساب تخفيض معدل الانماء ، وهذا أمر غير مرغوب فيه ما دامت الصادرات غير المنظورة تغطى العجز الحاصل فى الميزان التجارى .

الاتفاقات التجارية : لقد كانت تجارة سورية الخارجية حتى وقت قريب طليقة من قيود الاتفاقات التجارية ، غير أن رغبة الحكومات فى توسيع نطاق التبادل التجارى على اثر ازدياد الانتاج

السورى بصورة عامة ، وتوثيق الروابط بين الدول العربية دعتها الى عقد سلسلة من الاتفاقات كان القسم الأول منها يشمل الاتفاقات المعقودة مع دول عربية ، والثانى يشمل الاتفاقات المعقودة مع دول أجنبية ٠

١ ـ الاتفاقات المعقودة مع الدول العربية :

تقوم على أساس تبادل المعاملة التفضيلية من حيث الرسوم الجمركية ، ومنح اجازات الاستيراد والتصدير ، وأهمها اتفاقية تسهيل التبادل التجارى والترانزيت بين دول الجامعة العربية التى تنص على اعفاء المنتجات الزراعية من الرسوم الجمركية ، وعلى منح تفضيل قدره ٢٥ فى المائة أو ٥٠ حسب الحال بالنسبة للمنتجات الصناعية ٠ ثم هناك الاتفاقات الثنائية المعقودة بين سورية من جهة ، وكل من لبنان والاردن والسعودية ومصر من جهة أخرى ، وبعضها تعطى بالنسبة لبعض المنتجات معاملة تفضيلية أكبر من التفضيل المنصوص عليه فى الاتفاق العربى الآنف الذكر ٠

٢ ـ الاتفاقات المعقودة مع الدول الاجنبية :

تقوم جميعها على أساس مبدأ الدولة الأكثر رعاية والمعاملة بالمثل ، وقد تضمن بعضها نصوصا لتأمين تعادل الميزان التجارى الى حد ما ، كما تضمن البعض الآخر أحكاما تلزم الدول المتعاقدة مع سورية بشراء كميات معينة سنويا من القطن السورى ، وبعض المنتجات الرئيسية كحد أدنى ٠

أما الدفع فقد ترك فى بعض الاتفاقات حرا يجرى بالعملات الحرة مع تعهد المتعاقدين بأن يسمحوا بتحويل العملات اللازمة لتسديد قيمة المستوردات ٠ وفى بعض الاتفاقات التجارية الأخرى جرى تنظيم الدفع على أساس فتح حسابات متبادلة ٠

الاقتصاد المصرى :

الزراعة : كانت الزراعة وما تزال عماد الاقتصاد القومى فى مصر، وهى مجال العمل ومصدر الرزق للغالبية العظمى من السكان.

ورغم أهمية الزراعة وأثرها المباشر فى تنمية الاقتصاد القومى ، فقد كانت كفايتها الانتاجية متخلفة عن المستوى المنشود لبلد عماده الزراعة ، فانه بينما بقيت الرقعة المزروعة ثابتة تقريبا فى خلال الربع قرن الاخير ، هبطت غلة الفدان عما كانت عليه قبل الحرب العالمية الاخيرة . وقد ترتب على عدم مسايرة الانتاج الزراعى للزيادة المطردة فى عدد السكان أن هبط مستوى المعيشة ، وبالتالى هبط مستوى التغذية .

لذلك كان من أول أهداف الثورة النهوض بالزراعة والارتقاء بجميع نواحيها ومراميها ، فوضعت سياسة زراعية ثابتة تعتبر دستورا زراعيا يهتدى به . وتقوم هذه السياسة على أساس مرسوم وخطة محددة تهدف الى استغلال الموارد الزراعية الى أقصى امكانياتها بما يزيد الدخل ويرفع من مستوى معيشة السكان .

وترتكز سياسة مصر الزراعية على أسس انتاجية ، وأخرى تنظيمية :

فالأسس الانتاجية تتناول زيادة الكفاية الانتاجية الزراعية عن طريق توفير السلالات الصالحة ذات الصفات المرغوبة ، سواء أكانت نباتية أم حيوانية ، وتتناول أيضا العمل على توفير البيئة الصالحة من تربة وسماد ، وتحقيق تغذية صحيحة وسد الاحتياجات المائية المناسبة ، للحصول على أقصى انتاج من تلك السلالات .

كما تشمل هذه الاسس حماية الحاصلات الزراعية من نبات وحيوان من فتك الحشرات والآفات ، الى جانب تنويع الانتاج

وتكثيفه على أساس اقتصادى سليم ، والتوسع فى محاصيل التصدير المرغوبة لسد حاجة الأسواق الخارجية منها ، ورفع مستوى التغذية بتوفير الحاصلات الغذائية وتحسين نوعها ٠

أما الاسس التنظيمية من هذه السياسة فتتضمن التخطيط والتنسيق بين الاسس الانتاجية ، بدراسة المشروعات وبحثها فى ضوء ما تستهدفه البلاد من نهضة اقتصادية ٠ وتتضمن أيضا تجديد طرق البحث العلمى وانشاء جهاز خاص للارشاد الزراعى ، ليتعرف منه الزارع نتائج البحوث التى توصلنا اليها ، والاستفادة منها فى كافة ميادين التنمية الزراعية ٠

وليس من شك فى أن تنفيذ السياسة الزراعية قد بدأ اثره فى ارتفاع مستوى الانتاج الزراعى بصورة ملموسة ، ويبدو ذلك واضحا اذا ما استعرضنا حالة الاستيراد والتصدير لتلك الحاصلات من واقع بيانات التجارة الخارجية ٠

ومن الثابت أن عدد السكان يزداد سنويا بنحو ٥ر٢ ٪ ، وأن القوة الشرائية للشعب قد ازدادت بعد الثورة نظرا لتنفيذ قانون الاصلاح الزراعى ، وكذلك كانت زيادتها نتيجة لتنفيذ المشروعات العمرانية والانتاجية التى عمت جميع الميادين الاقتصادين فى البلاد ، ولان المستوى العام للتغذية قد ارتفع ٠ وكل هذا يدل على أن زيادة الانتاج الزراعى لم تغط الزيادة فى عدد السكان والقوة الشرائية ومستوى التغذية فحسب ، بل فاض عنها بالقدر الذىسمح بزيادة التصدير والاقلال من الاستيراد ٠

ولما كان اعتماد الاقتصاد القومى على تصدير محصول القطن فقط ، لا يساعد على استقرار الدخل الزراعى وانتظام الميزان التجارى ، فقد اتجهت سياستنا الزراعية الى نقل الزراعة المصرية من طور الزراعة الخفيفة الى طور التكثيف ، وزيادة الانتاج وتنويعه

بحيث تمكن زراعة أصناف من المحاصيل على نطاق يسمح بالتصدير منها الى جانب القطن • ويكون الطلب عليها أكثر استقرارا ، فلا يصبح القطن وحده مصدرا للحصول على النقد الاجنبى الذى يعتبر المورد الوحيد لدفع قيمة الواردات •

وكانت نقطة الابتداء هى تجهيز المحاصيل التى يتسنى لمصر انتاجها انتاجا اقتصاديا والتى تستطيع بها المنافسة الموفقة فى ميدان التجارة الدولية ، وأن ننتج من هذه المحاصيل فائضا للتصدير بأسعار مجزية للمنتج ومغرية للمستورد • وحتى فى المحاصيل التى يتوفر منها فائض يمكن أن تستغل صفات انتاجنا وموعد نضجه للتصدير بأسعار عالية ، ثم نلجأ عند الاحتياج الى الاستيراد عندما يتوافر الانتاج فى الاسواق الخارجية ويهبط سعره كثيرا عن مستوى أسعار التصدير •

ولقد أصبح لدينا من هذه المحاصيل وأمثالها الكثير كالارز والبصل والسكر والفول السودانى والبطاطس والخضر والفاكهة والنباتات الاقتصادية والمنتجات الحيوانية ، ومن بعضها الحد الذى سمح بالتصدير على نطاق يتزايد عاما بعد آخر •

وتنفيذا لهذه السياسة تحول الكثير من الزراع عن طريق الارشاد والتشجيع ، الى التوسع فى زراعة هذه الحاصلات التى كان يفتقر اليها الانتاج المحلى ، وتتوافر فيها امكانيات النجاح الاقتصادى — فزادت المساحة المزروعة فى عام ١٩٥٦ عما كانت عليه فى عام ١٩٥٢ بنحو ٣١٧ر٠٠٠ فدان فى الارز و ١٠٣ر٠٠٠ فدان فى الخضر ، و ١٣ر٥٠٠ فدان فى الفاكهة و ١٧ر٠٠٠ فدان فى القصب ، و ١٢ر٠٠٠ فدان فى البقول ، و ١٣ر٠٠٠ فدان فى البصل •

لقد زادت الصادرات من الحاصلات الزراعية بخلاف القطن فى عام ١٩٥٦ عنها فى عام ١٩٥٣ (وهى انتاج سنة ١٩٥٢) بما قيمته ١٠

ملايين من الجنيهات ، اذ زاد الصادر من الارز بمقدار ٢١١ ألف طن ومن البصل ٧٤ ألف طن ، ومن الخضر والبطاطس ٤٨ ألف طن ، ومن السكر ١٧ ألف طن ، ومن الفول السودانى ٨ آلاف طن ، ومن السمسم ٧ آلاف طن ٠

وقلت الواردات بما قيمته ١٥ مليونا من الجنيهات ، اذ نقص الوارد من القمح ودقيقه ٢٦١ ألف طن ، ومن الفاكهة ١٧ ألف طن ، ونقص الوارد من السكر من ٥٣ ألف طن الى لا شيء ، بل أصبحنا مصدرين ٠

ونستطيع أن نستخلص من تنفيذ السياسة الزراعية فى مصر الحقائق التالية :

١ ــ أمكن تنفيذ السياسة المرسومة تنفيذا كاملا فى بعض النواحى وتنفيذها جزئيا فى نواح أخرى بطريقة مرضية حققت الكثير من الاهداف ٠

٢ ــ سلكت الزراعة سبيل العلم والبحث ٠

٣ ــ استنبط فى أغلب الحاصلات عدد كبير من الاصناف والسلالات الجديدة الممتازة الانتاج من حيث الكم والنوع ٠

٤ ــ بلغت مقاومة الآفات مرحلة حاسمة ستحدث تطورا هاما فى زيادة الانتاج ٠

٥ ــ زاد الانتاج فى أغلب الحاصلات الزراعية زيادة تفوق كثيرا ما نتج عن زيادة المساحة المزروعة منها ٠

٦ ــ تنوع الانتاج بشكل يسمح بالتوسع فى محاصيل أخرى بجانب القطن ٠

٧ ــ قل المستورد من المحاصيل الغذائية وزاد المصدر منها بالرغم

من تزايد عدد السكان وارتفاع القوة الشرائية والمستوى العام للتغذية ٠

٨ — أمكنت زيادة المستورد من السلع اللازمة للتنمية الاقتصـادية نتيجة لنقص المستورد من الحاصلات الغذائية ٠

٩ — نما الوعى الزراعى نموا كان نتيجة للارشاد والتوجيه الذى يبشر بالخير الكثير ٠

١٠ — يمكن التطلع الى المستقبل بأمل كبير ٠

ومن أضخم الأعمال الزراعية التى تمت فى مصر خلال السنوات الخمس الاخيرة « مديرية التحرير » ٠

والواقع أن مديرية التحرير جاءت وليدة الحاجة الماسة الى زيادة رقعة الاراضى المزروعة فى مصر ٠ وفى أقل من أربع سنوات من بدء العمل بها أمكن اتمام الاعمال الانشائية من ترع رئيسية وفرعية ، وطرق رئيسية مرصوفة ، واقامة محطات للرى ، وآبار جوفيـــة للرى والصرف فى مساحة بلغت ٢٤٠٠٠ فدان ، وأمكن رفع معدل الاستصلاح الى ١٠٠٠ فدان شهريا ابتداء من يوليو ١٩٥٧ بعد أن كان ١٠٠ فدان فى عام ١٩٥٣ ومن المنتظر أن يرتفع هذا المعدل مستقبلا الى ١٥٠٠ فدان شهريا نتيجة لاستغلال الامكانيات الضخمة الموجودة لدى المؤسسة ، وتتمثل فى المعدات الميكانيكية الحديثة فى عمليات الاستصلاح والاستزراع والتعمير ٠

واستلزم هذا انشـــاء ترع رئيسية بطول ١٨ كيلومترا وأخـــرى فرعية بطول ٢٤ كيلومترا والمساقى والمراوى بطول ١٢٠ كيلومترا بينها ٧٠ كيلومترا مبطنة ، وبلغ عدد الكبارى التى أنشئت على هذه الترع وفروعها ١٤ كوبريا والقناطر ١٧ قنطرة ، ومحطات الطلمبات ٢٢ محطة والآبار الارتوازية ٤٠ بئرا ورصفت طرق بطول ١٠٠ كيلو متر ، وتم انشاء محطة قوى كهربائية قدرتها ٢٠٠٠ حصان ،

ويجرى بناء محطة أخرى قدرتها ٧٠٠٠ حصان ، كما يجرى تركيب الخط الكهربائى من محطات شمال الدلتـــا وتبلغ قدرته ١٥٠٠٠ حصان ، كما تم شراء جميع الطلمبات اللازمة لتوصيل المساحة الى ٥٠ ألف فدان ٠

وقد تم حتى الآن زراعة ١٢٠٠٠ فدان منها ٣٠٠٠ فدان حدائق موالح ومانجو رقعة واحدة متصلة لا نظير لها فى أى مكان آخر بمصر، أما بقية المساحة فمشغولة بمختلف المحاصيل الحقليـــة والخضرية والعلفية ٠

وتقتنى المؤسسة عددا كبيرا من أحسن أنواع الحيوانات والدواجن الموجودة بمصر من الابقار المنتقاة لزيادة انتاج اللبن واللحم ، فلديها ١٠٠٠ رأس من الابقـــار الاجنبية تنتج نحو ٢٫٥ مليون رطل من اللبن فى السنة و ٢٠٠٠ رأس من الاغنام ٠

كما توجد أحدث وأكبر مزرعة لانتاج الدواجن المنتقاة بمصر ٠

أما من الناحية العمرانية فقد تم بنـــاء نحو ٢٥٠٠ مسكن عائلى جميعها مجهزة بالاثاث اللازم ، وهى موزعة فى أربع قرى ومركز صناعى ، وكل من هذه المنازل مزودة بالكهرباء والمياه الصـــالحة للشرب والمجارى ، ويتكون المسكن من حجرتين وصالة ودورة مياه ومطبخ ، كما أقيمت بالقرى والمراكز المدارس والمســـاجد والمرافق العامة والاسواق التجارية والمستشفيات والعيادات والنوادى ٠

ويعمل فى المديرية الآن نحو ٢٠ ألف نسمة من مختلف المهن وفرت لهم الوسائل المعيشية والترفيهية بقدر المستطاع ٠ ولما كانت مؤسسة مديرية التحرير تهدف الى ايجاد مجتمع ريفى سليم يقوم على أسس تعاونية ، فقد نالت هذه الناحية جزءا كبيرا من عنايتها ، وذلك بتدريب المشرفين والمشرفات على تحقيق هذا النوع من الحياة

الريفية ، وهذه أول تجربة تجـــرى على نطاق واسع بنجـــاح فى مصر ٠

وتمشيا مع سياسة التصنيع الزراعى تمت اقامة مصانع لتعبئة وحفظ الخضروات والفواكه ، وثلاجة مساحتهـا ١٥٠٠ متر مكعب بحيث يمكن تصدير الخضر والفاكهـة الطازجة عى نطاق واسع فى الاوقات المناسبة للتصدير اعتبارا من يناير سنة ١٩٥٨

وقد أنشئت ورش ميكانيكية على أحدث طراز لمواجهة ما تتطلبه طبيعة الاعمال الانشائية والزراعية والتصنيعية من صيانة المعدات والآلات الزراعية الميكانيكية التى تكفى لاصلاح ١٠٠٫٠٠٠ فدان ، ويبلغ عدد الوحدات الموجودة الآن نحو سبعمائة وحدة من جرارات وسيارات وآلات زراعية ميكانيكية وطلمبات وغير ذلك ٠

وتحقيقا لسياسة الاكتفاء الذاتى التى تتوخاها المديرية فى جميع أعمالها تقوم فضلا عما تقدم بانتاج جميع ما يلزمهـــا من الابواب والشـــبابيك والاثاث اللازم للمنازل ، وبوابات لفتحـــات الرى والمواسير ، وأعمدة الشبكة الكهربائية والطوب والبلاط بالمصـــانع التى تم انشاؤها ٠

وقد روعى فى وضع برنامج مديرية التحرير الاسس العلميـــة السليمة التى تضمنتها مختلف الدراسات التمهيدية الواسعة ،ويتم تنفيذ هذا البرنامج بالاعتماد على نفس هذه الاسس وفقـــا لمختلف الدراســـات التنفيذية المتواصلة ، ووفقـــا للخبرة الطويلة التى اكتسبتها المؤسسة فى طرق استصلاح واستزراع وتعمير الاراضى الصحراوية حتى بلغ عدد أساتذة الجامعات والخبراء الذين يعملون بالمؤسسة ٣٦ أستاذا متخصصا ، وتعنى المؤسسة بانشاء ما يلزم من معامل الابحاث وتجهيزها بالمعدات ٠

وقامت المؤسسة بتنفيذ عمليات الرى التى كان مفروضا أن تقوم الدولة بتنفيذها من حفر الترع العمومية والترع الفرعيـة وكذلك محطات الطلمبات ومحطات توليد الكهرباء والآبار الارتوازية ورصف الطرق .

وكل هذه الاعمال قامت بها المؤسسة نيابة عن الدولة ، هـذا بخلاف المدارس والمستشفيات ومساكن المنتفعين ومساكن الموظفين .

وان عملية الاستصلاح فى حد ذاتها ، التى تشمل تسوية الارض وانشاء الجسور لا تتكلف أكثر من ٢٩ جنيها ، و ٥٠٠ مليم ، ولكن ليست التسوية هى كل شىء ، ولكن عملية احياء الارض الموات هى الاساس ، أعنى عملية الاستزراع على نطاق واسع، فنحن نزرع حوالى العشرة آلاف فدان مرة واحدة فى الموسم الواحد ، ويمكن تصـور مبلغ الجهود اللازمة لمثل هذه العملية .

ونظرا لاستغلال امكانيات المؤسسة وفقا لأحدث الاساليب الفنية والاقتصادية والاجتماعية والتوسع فى عمليات الاسـتصلاح أمكن خفض صافى تكاليف استصلاح وتصنيع وتعمير الفدان الى ٣٦٠ جنيها تقريبا ، وهو أقل حد ممكن .

وقد بلغت المصروفات خلال الاربع سنوات الماضية ١٠ر٣١٢ر٠٠٠ جنيه منها ٣ر٦٥٠ر٠٠٠ قيمة أصول ثابتة هى الجرارات والآلات الميكانيكية والطلمبات وآلات الورش وغيرها . وهـذه ستستعمل لابلاغ هذه المساحة ٥٠ر٠٠٠ من الافدنة .

وفيما يلى بيان تكاليف ونسب العمليات المختلفة للفدان الواحد :

		النسبة المئوية
١ - استصلاح (تسوية وتكوين جسور)	٢٨ر٨٠٠	٨
٢ - أعمال رى وصرف وانشـاء محطات طلمبات وشبكة الكهرباء ودق الآبار الارتوازية	٦٤ر٨٠٠	١٨ ٪

البند	الجنيهات	النسبة
٣ ـ استزراع نباتي وحيواني في مدى خمس سنوات	١٦٩ر٢٠٠	٤٧ ٪
٤ ـ انشاء القرى والمستعمرات السكنية	٥٧ر٦٠٠	١٦ ٪
٥ ـ رصف الطرق وانشاء الكبارى	١٠ر٨٠٠	٣ ٪
٦ ـ خدمات صحية واجتماعية وثقافية	١٤ر٤٠٠	٤ ٪
٧ ـ مصروفات ادارية	١٤ر٤٠٠	٤ ٪
	٣٦٠ر٠٠٠	١٠٠٪

ولهذا كانت عمليات استصلاح واستزراع وتعمير الأراضي الصحراوية والاراضي البور تقتضي مزيدا من الاهتمام ، لأن التقدم السريع في عمليات التصنيع وما يصاحب ذلك من ارتفاع مستوى المعيشة سيضاعف الطلب على المواد الزراعية بصفة عامة ، والغذائية منها بصفة خاصة وهي التي لا تنتج البلاد منها ما يكفي حاجتها الحالية • يضاف الى ذلك أن اتساع التبادل بين القطاعين الصناعي والزراعي يقضي بضرورة توسيع طاقة القطاع الريفي ليقوى على استيعاب المصنوعات المصرية ، وهذا يتطلب ضرورة التوسع السريع في مشروعات الاستصلاح والاستزراع والتعمير حتى لا تفاجأ البلاد بموقف اقتصادي غير متوازن ، وحتى تتضاعف الفوائد المرجوة من التوسع الصناعي •

ويكفي أن نعلم أن مساحة الاراضي المنزرعة بتشيكوسلوفاكيا البلد الصناعي الكبير ١٨ مليون فدان وعدد سكانه ١١ مليون نسمة ، وفي انجلترا ٢٨ مليون فدان ، وفي روسيا أكثر من ١٢٠٠ مليون فدان •

ولم تكن مديرية التحرير مجرد اتساع في رقعة الارض المنزرعة، بل كانت موطن الدراسات والاختبارات في استصلاح الاراضي

الصحراوية بكل مشكلاته الفنية والتنفيذية والاجتماعية ، وكانت مدرسة تخرج منها عشرات الاخصائيين ومئات المســاعدين وآلاف العمال الذين تدربوا فى شئون الرى والصرف والبناء والميكانيكا والزراعة والشئون الاجتماعية ٠

كما قامت لاول مرة بأعمال التعمير والاسكان وتكوين مجتمع ريفى وطيد الاركان ٠

وان لكل هذا أهمية كبرى ، لأن الاراضى الصحراوية هى مجال القسط الأكبر من التوسع الزراعى المقبـــل الذى سيستتبع اقامة السد العالى ان شاء الله ٠

الصناعة : وجهت مصر عنايتهـــا فى أولى مراحل التصنيع الى المشروعات ذات الاهمية الاستراتيجية والصناعات الاساسية الهامة التى لها أولوية واضحة فى التنمية الصناعية ، فاتخذت خطوات سريعة فعالة لتنفيذ عدد من المشروعات الاساسية ، وساهمت فى رءوس أموال بعض المشروعات الكبرى ، كما عملت على تدبيرالقروض اللازمة للتوسع فى الصناعة عن طريق البنك الصناعى ٠

وقد أثمرت هذه الجهود ثمرتها ، وبدأ كثير من تلك المشروعات الهامة يخرج الى حيز الوجود ، فأهم الصناعات المصرية : الحـديد والصلب ، فاذا بدأ المصنع فى الانتاج تكون البلاد قد أرست دعائم نهضتها الصناعية ومهدت السبيل لانشــاء سلسلة من الصناعات الثقيلة الهامة ، ووفرت لسائر صناعاتها ما تحتاج اليـــه من عدد وآلات ٠

وقد بلغت جملة مساهمـــــة الحــكومة فى رأس مال المشروع ٧٫٢٥٠٫٠٠٠ جنيه ٠

ومن المنتظر أن ينتج المصنع فى أولى مراحله ٢٦٥٫٠٠٠ طن من الحديد والصلب غير المشكل تقدر قيمتها بنحو عشرة ملايين من

الجنيهات يضاف اليها نحو ثلاثة أرباع المليون من الجنيهـــات قيمة المنتجات الثانوية للمشروع ، وبذلك تبلغ قيمة المنتجـــات نحو ٠٠٠ر٧٥٠ر١٠ جنيه فى السنة يخصم منها ثمن الكوك المســتورد وقدره نحو ٣ ملايين جنيـه ، ومليون آخر فى مقابل الاســتهلاك السنوى للآلات وثمن الخامات المستوردة من الخارج ، فيكون الوفر المباشر فى قيمة وارداتنا السنوية نتيجة لتنفيذ المشروع أكثر من ستة ملايين من الجنيهات ٠

البترول : اتخذت الخطوات اللازمة لرفع كفاية المعمل الحـــكومى لتكوين البترول بالسويس من ٠٠٠ر٤٠٠ طن الى ٠٠٠ر٣٠٠ر١ طن سنويا ، كما أنشىء معمل لتكرير البترول بالاسكندرية تبلغ كفايته ٠٠٠ر٢٠٠ طن سنويا تمكن زيادتها فى المســـــتقبل ، وفضلا عن الاهمية الاستراتيجية لهذه المنتجات فقد حققت هذه السياسة وفرا كبيرا من العملات الاجنبية التى كانت تنفق فى سبيل اســـتيراد المنتجات المذكورة يبلغ نحو خمسة ملايين من الجنيهات سنويا ٠

الكهرباء : أهم مشروعات الكهرباء فى الوقت الحاضر هو مشروع توليد الكهرباء من خزان أسوان ، وهو المشروع الذى تكالبت عليـه منذ أكثر من ربع قرن عوامل التأخر والركود حتى ألقت به فى زوايا النسيان ٠

وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٢ تقرر اتخاذ خطوات سريعه حاسمة لتنفيذه على أساس جديد يتفق والاهداف المرجوة منه ، وفى هـذا السبيل رصدت له الاعتمادات اللازمة وتقدر بنحو ٢/١ ٢٧ مليون من الجنيهات ٠ وقد قطع المشروع مرحلة هامة فى التنفيذ وتم توريد المعدات اللازمة لتوليد الكهرباء وقاربت عمليـــــات التركيب على الانتهاء ، ومن المنتظر اتمامه اتماما جزئيا خلال سنة ١٩٥٩ ، أما الافادة الكاملة من امكانياته فستتم فى نهاية عام ١٩٦٠ . وسيترتب على تنفيذ هذا المشروع ايجاد قوة كهربائية قدرها ١٨٨٠ مليون كيلووات

ساعه فى السنة يستخدم الجانب الاكبر منها فى أغراض صناعيـة وباقى الطاقة المولدة فى ادارة طلمبات لتحويل رى الحياض الى رى مستديم ، ولرى الاراضى المرتفعة ، وكذلك لامداد المرافق البـلدية فى مديريتى قنا وأسوان بحاجتها من الكهرباء ٠

صناعة السماد : لقد كان اقرار هذا المشروع والبدء فى تنفيـذه أساس التفكير فى اقامة صناعة السماد الازوتى فى أسوان ، لأن توفير الطاقة الكهربائية بأسعار منخفضة مناسـبة يعتبر من أهم الاسس التى تعتمد عليها هذه الصناعة ٠ وقد أثبتت الدراسة سلامة استغلال الطاقة الكهربائية المستنبطة من خزان أسوان فى انتـاج الاسمدة الازوتية من الوجهتين الفنية والاقتصادية ٠

وبناء على ذلك ألفت « شركة الصناعات الكيماوية المصرية » برأس مال قدره ثمانية ملايين من الجنيهات لاتخاذ الخطوات اللازمة لتنفيذ هذا المشروع الهام ، اكتتبت الحكومة فيه بمبلغ ٥٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيه، وتقدر جملة رأس المال اللازم لانشاء المصنع بنحو ٢٢ مليونا من الجنيهات ينفق ثلثها داخل البلاد لتنفيذ الاعمال المدنية وأعمال النقل والتأمين ٠

ومن المنتظر أن يبلغ الانتاج السنوى للمصنع نحو ٣٧٠ ألف طن من سماد نترات النشادر الجيرى المحتوى على ٢٠ ١/٢ ٪ أزوت تقدر قيمتها بأكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات ، يعتبر الجانب الاكبر منها اضافة فعلية الى الدخل القومى وعاملا جوهريا فى انعاش منطقة أسوان وتطورها صناعيا وزراعيا واجتماعيا ٠

صناعة التعدين : زاد عدد تراخيص البحث عن المعـادن من ٢٨ ترخيصا عام ١٩٥١ الى ٩٠ ترخيصا عام ١٩٥٥ كما زاد عدد عقـود الاستغلال المنتجة من ٥٥ الى ٨٣ فى نفس المدة ٠

الصناعات الهندسية والمعدنية : قامت صـناعة عربات السكك

الحديدية برأس مال قدره نصف مليون جنيه، وسوف يبدأ الانتاج قريبا بعربات البضاعة بمعدل ٦٠٠ عربة فى السنة ، ثم تتدرج فى الصناعة حتى تنتج المهمات المماثلة للسكك الحديدية ، ومن المنتظر مع تقدم صناعة الصلب فى مصر أن تتوافر أكثر الخامات اللازمة لهذه الصناعة محليا بما يوفر للبلاد نحو ٧٠٠ ألف جنيــه من العملات الاجنبية سنويا .

الكابلات الكهربائية : تكونت شركة لانتاج الكابلات الكهربائية سيوفر انتاجها للبلاد مليونى جنيه سنويا من العملات الاجنبيــة . كما أقيم مصنع لانتاج تماسيح الزهر التى تستخدم فى صـــناعة مواسير المياه للضغط العالى ، وصناعة الطلمبات ، وســـائر أنواع المسبوكات ، ومن المنتظر توسيع هذا المصنع حتى يصل انتـــاجه السنوى الى ١٤ ألف طن من المواسير توفر للبلاد أكثر من ٢٠٠ ألف جنيه من العملات الاجنبية سنويا .

الصناعات الغذائية : لقد شمل التوسع كثيرا من الصـــناعات الغذائية فتكونت « شركة أدفينا » برأس مال قدره ٣٠٠ ألف جنيه لتصنيع المنتجات الزراعية وتصديرها ، وتمت اقامة مبانى المصنع وتركيب بعض آلات التصنيع وبدأت بالفعل عمليات التعبئة لبعض المنتجات .

وأسست شركة مساهمة مصرية برأس مال قدره ٤٠٠ ألف جنيه لانتاج اللبن المبستر وصناعة المنتجات اللبنية والمثلجات .

صناعات منتجات الخزف والصينى : اهتمت الحكومة بتشجيع هذه الصناعة والنهوض بها لمواجهة احتياجات البلاد ، فعملت على تأسيس شركة لمنتجات الخزف والصينى برأس مال قدره ٧٥٠٫٠٠٠ جنيه ساهم البنك الصناعى فيه بمبلغ ١٥٦ ألف جنيه . وينتظر أن يبدأ الانتاج فى نهاية عام ١٩٥٧ على أن يتضاعف فى خلال عام حتى

يمكن سد حاجة الاستهلاك المحلى المستقبلة لمواجهة عمليات التعمير والبناء ثم تصدير الفائض الى الاسواق القريبة ٠

صناعة المنتجات الخرسانية : لقد أنشئت الشركة العامة للمنتجات الخرسانية لانتاج الوحدات الخرسانية والمواد البنائية على وجه عام٠ ويبلغ رأس مال هذه الشركة ٩٠ ألف جنيه ٠

وقد أقيم مصنع هذه الشركة وبدأ انتاجه فعلا فى يناير ١٩٥٨ بمعدل ٣٠٠ ألف متر مسطح من الاسقف الخرسانة ٠

صناعة اطارات الكاوتشوك : أقيم مصنع لانتاج الاطارات الداخلية والخارجية من المطاط الطبيعى والصناعى ، وقد بدأ الانتاج فعلا في نهاية عام ١٩٥٥ وهو ينتج الآن الجزء الاكبر من المقاسات اللازمة للاستهلاك المحلى بواقع ٢٠٠ ألف اطار داخلى سنويا من اطارات سيارات الركوب وسيارات النقل ، وهذا يوفر على البلاد سنويا مليونا وربعا من الجنيهات الاجنبية ٠ هذا فضلا عما يصدره من انتاجه مما يفيض عن حاجة الاستهلاك المحلى ويجلب حصيلة لا بأس بها من العملات الاجنبية ٠

صناعة الغزل والنسيج : تعتبر هذه الصناعة من أهم الصناعات المصرية ، ويتبين من الاحصائيات التالية مدى ما بلغته من تقدم باهر كنتيجة حتمية للسياسة الجديدة التي سارت عليها البلاد :

البيــــان	سنة ١٩٥٢	سنة ١٩٥٦
عدد مغازل القطن	١٧٨ر٥٣٩	٥١٠ر٨٧٠
عدد أنوال القطن	١٣ر٧٢٩	٠٠٠ر١٦
عدد مرادن الصوف	٤٢ر٢٥٤	٤٦ر٨٠٣
عدد أنوال الصوف	٦٨٥	٧٩٠
انتاج خيوط الغزل القطنية	٦٩٣ر٥٥طن	٠٠٠ر٨٣طن
انتاج الخيوط الحريرية	٠٠٤ر٤	٦٧٣ر٩طن
الاقمشة القطنية	٢٢٠ مليون متر	٢٥٠ مليون متر
انتاج الاقمشة الصوفية	٩٣٧ر٢٢٦ر١ كج	٥٤١ر٧٣٢ر١ جك
انتاج الاقمشة الحريرية	٣٦ مليون متر	٦٠ مليون متر
انتاج البطاطين الصوفية	٠٠٠ر٧٨٠ متر مربع	٢٥٠ مليون متر
الصادر من غزل القطن	٦١٨ر٦ طن	٠٠٠ر١١ طن
الصادر من الاقمشة القطنية	٤٩٥ طن	٠٠٠ر٣ طن
الوارد من خيوط الحرير الصناعى	٥٦٩ر٢ طن	١٩٧ر٢ طن
الوارد من الاقمشة الحريرية	٥٢٩ طن	١٠١ طن
الوارد من الاقمشة القطنية	٧٨١ر١ طن	٤٤٩ طن
الوارد من الاقمشة الصوفية	١٠٠ر١ طن	٦٤٤ طن
الوارد من البطاطين الصوفية	٤٢ طن	

مشروع السنوات الخمس : لكى تقوم التنمية الصناعية على أساس سليم متوازن روعى فى اعداد مشروع الســـنوات الخمس أن يشمل جميع أوجه النشاط الصناعى ســـواء منها الصناعات التحويليـــة والتعدينية والبترولية التى تؤدى الى رفع الكفاية الانتاجية فىالصناعة بوجه عام •

وقد رسمت الاحتياجات لكل هذه الصناعات على ضوء الصناعات القائمة منها الآن والامكانيات الفنية والاقتصادية للبـــلاد للتوسع فيها ، وذلك كله فى ظل القواعد التى رسمها نظام الاولويات •

ونتيجة لهذه الدراسة وضعت المراحل المختلفة للبرنامج ، وقدر للمرحلة الاولى ثمانية عشر شهرا ولكل مرحـلة من المراحل الاربع التالية اثنى عشر شهرا وقد جعلت فترة المرحلة الاولى أطول نسبيا نظرا لما يتطلبه البدء بالتنفيذ من اعداد وتحضير •

وروعى ألا يبدأ البرنامج بطفرة سريعة من الاستثمار ، بل تتدرج أعباء الاستثمار بحيث تبلغ مقدارا سنويا ثابتا على وجه التقريب اعتبارا من المرحلة الثالثة الى ان يتمشى البرنامج مع تطور الافكار العامة بالنسبة للاستثمار الصناعى •

وقد تم حصر الخامات الصناعية والزراعيـــة والتعدينية والقوى الكهربائية المولدة ، وأجرى توزيعها جغرافيا ، كما درست امكانيات المناطق المختلفة من ناحية العمال الصناعيين بما يشمل حصر الأفراد الذين يصلحون لأعمال فنية دقيقة وغيرها ممن يراد تدريبهم على الاعمال المتوسطة الدقة ، ثم الافراد الذين تمكن الاستفادة منهم فى الاعمال العادية ، وهى النواحى الادارية والتسويقية وغيرها •

وعلى هذا الاساس روعى توطين المشروعات الجديدة بحيث يمكن انشاء مناطق صناعية جديدة فى مختلف أنحاء مصر •

* * *

التجارة : تتجه مصر بخطوات سريعة نحو التقدم الاقتصادى بنواحيه المتعددة ، وكذلك فانها فى حاجة ماسة الى استيراد أحدث المخترعات من آلات ضخمة ومصانع وأجهزة وقاطرات وبوارج.وهذه الادوات الانتاجية فوق أنها باهظة التكاليف فانها يجب الحصول عليها من الدول المتقدمة صناعيا خلال مدة قد تقصر أو تطول حسب التقدم الاقتصادى حتى تتمكن الدولة من انتاجها بنفسها ٠ ومن الواضح أن الحصول على هذه المطالب يحتاج الى رصيد ضخم من العملات الاجنبية ٠ وهذا الرصيد لا يمكن أن يتم الا عن طريق فائض فى ميزان المدفوعات يمكن به تحقيق مطالب التنمية الانتاجية بشروط مجزية تقوم على العوامل الفنية والاقتصادية وحدها دون تمييز بين سوق وآخر مع ضمان الحصول على هذه المطالب بحالة منتظمة ٠

ولكى يمكن تحقيق الغرض من التجارة الخارجيه رسمت سياسة تقوم على الشقين الآتيين :

أولا – **بالنسبة للاستيراد :** وجوب الحد من استيراد السلع الاستهلاكية والكمالية ، وكذلك السلع التى لها مثيل كاف من الانتاج المحلى مع السماح بالاستيراد بقدر محدود من السلع التى يمكن انتاجها فى مصر حتى ينشط الحافز على اقامة صناعتها فى البلاد ، اذ أن تكوين رأس المال يستلزم عملية ادخار ، وهذا الادخار يتمثل فى ضغط الاستهلاك الحاضر لكى يمكن استهلاكه فى المستقبل ٠

وهذه السياسة عندما تهدف الى الامتناع مؤقتا عن استيراد السلع غير الضرورية انما تتفق مع الاسس الاقتصاديه السليمه ، لانه حرمان مؤقت يتبعه ادخار حقيقى هو أساس الحصول على رأس المال الضرورى ٠ وحتى فى ميدان الاستيراد للسلع الانتاجيه لا يكفى أن يكون عامل النقد الاجنبى هو وحده الموجه للاستيراد والا كان لهذا تأثير كبير على الانتاج المحلى ذاته ، وعلى زيادة الاسعار بالنسبة

الى المستهلكين ، فبجانب العامل النقدى يجب أن يتوافر عامل الثمن المنافس وجودة السلعة ، ولقد أضيف هــذا الشرط الى الاتفاقات التجارية الحديثة ، اذ اشترطت أن يكون التبادل التجارى مراعاة فيه مناسبة الثمن مع الجودة كما يجب أن يكون استيراد هذه السلع الانتاجية خاضعا لبرنامج التخطيط الذى يقوم أولا على الاستغلال الماهر الكامل لجميع امكانيات البلاد بما فيها المصانع القائمة فعــلا ثم النظر فى تكملة هذا الانتاج بالمصانع الجديدة والصناعات الجديدة فلا يكفى لاستيراد سلعة ما أن تكون انتاجية فى ذاتها ، بل يجب التأكد أولا من ضرورتها وامكانياتها للتنمية الانتاجية فعلا ٠

ثانيا — **بالنسبة للتصدير** : يجب أن توضع خطته على أســاس تنسيق العلاقة بين سياسة التجارة الخارجية والسياسة الانتاجيــة بحيث تخدم هذه الاخيرة الاهداف الاساســية للتصدير فى نطاق الخطة العامة ، هذه الاهداف التى تقوم على تنويع الصادرات بقصد زيادة حجمها مع مراعاة الجــودة فى السلع المصــدرة بما يضمن لمستورديها الثقة الدائمة مع منحها التشجيع اللازم الذى يكفل أن تكون أسعارها منافسة فى السوق الخارجى مع التوسع فى أسواق الصادرات وعدم الاعتماد على أسواق محددة ، فسعة حجم السوق الخارجى تدعم الانتــاج المحلى وتمنع الهزات العنيفــة فى مجاله الاقتصادى ٠ وقد أمكن فعلا تنفيذ جزء كبير من هذا البرنامج ، فلم يعد القطن وحده ما تصــوره مصر ، بل انضم اليــه غزل القطن والمنسوجات القطنية والارز والبصل والسكر والاسمنت والخضروات والفاكهة ، وما زالت الدراسة مستمرة فى توجيه النشاط الى سلع جديدة للتصدير ، مع زيادة الاعتماد فى هذه الناحية على المنتجات الصناعيــة بدلا من المواد الخام ، لما فى ذلك من زيادة واضحة فى الدخل القومى ينعكس أثرها على مستوى المعيشة ٠

ولما كانت مصر تستهدف التحرير السياسى والاقتصادى فقد كان من الطبيعي أن تستهدف أيضا تحرير تجارة مصر الخارجيــة من

السيطرة المستغلة والاحتكار ، لأنهـا كانت تعتمد فى استيرادها وتصديرها على أسواق قليلة تجعل اقتصادها خاضعا لما تريده تلك الاسواق ، فبدأت بارسال البعوث التجارية تجوب مختلف البلدان والاسواق ، وقامت بعقد الاتفاقات التجارية التى بلغ عددها الى الآن ٣٣ اتفاقا للتجارة والدفع ، منها خمسة اتفاقات طويلة الاجل مع كل من يوغوسلافيا وألمانيا الشرقيـة ورومانيا وتشيكوسـلوفاكيا والصين الشعبية ٠

وقد عادت هذه السياسة بفوائد جمة على اقتصـاديات البلاد ، فانها من ناحية حجم المعاملات ارتفعت نسبة قيمة الصـادرات الى بلاد الاتفاقات حتى بلغت نسبة الصادرات ٨٠ ٪ فى سنة ١٩٥٦ كما ارتفعت هذه النسبة فيما يختص بالواردات الى ٧٥ر٤ ٪ فى نفس السنة ٠ أما فى الاربعة أشهر الاولى من سنة ١٩٥٧ فقد ارتفعت النسبتان الى ٨٧ر٩ ٪ و ٧٧ر١ ٪ على الترتيب وفضـلا عن ذلك استطاعت مصر فى سنة ١٩٥٦ أن تحقق فائضا فى ميزانها التجارى مع مجموعة هذه البلاد قدر بمبلغ ٧ر١٣٠ر٠٠٠ جنيه ٠

وفى الاشهر الاربعة الاولى من سـنة ١٩٥٧ بلغ ٨ر١٩٠ر٠٠٠ جنيه . واذا سارت العمليات التجارية الى نهاية العام مع تلك الدول بهذا المعدل فانه ينتظر أن يبلغ هذا الفائض فى السنة كلها أكثر من العشرين مليونا من الجنيهات ٠

وقد كان من أثر هذه السياسة أيضا تنوع اتجاهات التجـارة الخارجية لمصر كما ذكرنا ، بدلا من الاعتماد على أسـواق محدودة معينة ، ويكفى أن نذكر أن الصادرات الى بلاد الكتلة الشرقية زادت من ٢٨ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه فى سنة ١٩٥٥ الى ٤٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٥٦ كما ارتفعت قيمة وارداتها من ١٢ر٢ مليون جنيه فى سنة ١٩٥٥ الى ٢٢ر٨٠٠ر٠٠٠ جنيه فى السنة التاليـة ٠ وبذلك

حققت مصر فائضا ايجابيـــا مع هذه الكتلة بلغ ٠٠٠ر٢٠٠ر١٦ و ٠٠٠ر٢٠٠ر١٧ جنيه على الترتيب فى هاتين السنتين ٠

وكان من فضل هذه السياسة الاستقلالية فى التجارة الخارجية أن استطاعت مصر أن تخرج منتصرة من الازمة التى تعرضت فيهـا لضغط اقتصادى قصد به حرمان الشعب من حاجياته الاساسية ٠

ولعل أكبر دليل أيضا على نجاح هذه السياسة أن مصر استطاعت فى خلال النصف الاول من سنة ١٩٥٧ أن تحقق فائضا فى ميزانها التجارى يزيد على ستة ملايين ونصف مليون جنيه ، وقد كان ذلك نتيجة لسياسة التوسع فى التصدير مع العمل على ضغط الواردات فاذا قارنا هذه الفترة بما يقابلها فى سنتى ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ نجد أن قيمة الصادرات ارتفعت من ١ر٧٠ مليون الى ٨ر٩٠ مليون ثم الى ٦ر٩٣ مليونا فى النصف الاول من عام ١٩٥٧ وكذلك الواردات ، فقد هبطت قيمتها من ٨ر١٠٤ مليون فى النصف الاول من سـنة ١٩٥٦ الى ١ر٨٧ فى هذه الفترة من سنة ١٩٥٧ ومجموع ذلك لم يحدث منذ نشوب الحرب العالمية الثانية ، هذا فضلا عن دعم التجارة الخارجية وتحقيق توازن حقيقى اقتصادى خارجى ٠

* * *

الحياة الاجتماعية والثقافية :

تشترك سورية ومصر فى مظاهر التقدم الحضارى منذ تحررتا من نير الاستعمار ، وهما تتجهان معا فى طريق واحد لبناء شعب واحد أهم سماته اقامة حيـاة اجتماعية وثقافية رفيعة ، وهذه الحيـاة الاجتماعية والثقافية تعتبر دعامة من دعائم الحياة المادية لبناء شعب قوى عزيز ٠

وانى فى هذا الكتاب أقدم ملامح هذه الحيـاة فى كلا الاقليمين اللذين يكونان الجمهورية العربية المتحدة ٠

سـورية :

بين أمس سورية وحاضرها فارق كبير ، فان تطورا عظيما نال جميع أطراف حياتها حتى أصبح نهضة حقيقية حية تسير دائما الى الارتقاء • ولعل أروع ما فى هذه النهضة ما يتصل منها بحياتها الاجتماعية والثقافية • والمدهش في هذا انه كان على سورية ، منذ أن جلت الجيوش الاجنبية عن أرضها عام ١٩٤٦ أن تصنع كل شيء ، وأن تشق الطريق فى الصخر وتسير فيها وتعبد طريقا قديمة وتزيد فى امتدادها •

فالمرأة السورية قد أقبلت فى عهد الاستقلال على العلم ، وعلى العمل ، وعلى ادخال الحياة الحديثة فى البيت بشكل يدعو الى الفخار ، حتى ليصعب على الانسان أن يرى امرأة أمية فى المدن السورية الا من تقدم بها العمر وأضحت من تركة الماضى •

فى الدوائر الرسمية تجد المرأة السورية فى كثير من الوظائف ، وفى المدارس والمعاهد ترى المعلمات والمدرسات ، وفى الميادين الاخرى تجد الطبيبة والصيدلية والممرضة ، والعاملة ، كما ترى الاديبة والشاعرة والفنانة ، وترى هنا وهنالك جمعيات تنهض بها المرأة لتضرب بسهمها فى الشئون الانسانية وفى حقول الخدمات العامة •

وقد تركت المرأة السورية الحديثة آثارا طيبة ومجيدة فى ميادين النضال القومى ورأيناها فوق ذلك تنال حق الانتخاب أيضا ، وتتدرب على الفنون العسكرية والقتال •

واذا أمعنا بعمق الى الارقام لطالعتنا أشياء تستوقف النظر ، فقد كان عدد الطالبات فى الجامعة السورية عام ١٩٤٥ مقتصرا على ١١ طالبة ، فاذا بهذا الرقم يصبح ٩٢٩ طالبة عام ١٩٥٥ • وكان عدد الطالبات فى فرع كلية الآداب وشهاداتها أكثر من عدد الطلاب ،

فوزعن جميعا على كليات الهندسة ، والعلوم ، والآداب ، والطب ، والحقوق على قدم المساواة مع الطلاب الذكور ٠

ولو رجعنا الى هذه الارقام نطالعها عام ١٩٤٥ ، لوجدنا أن وجود بنت واحدة فى كليات الجامعـة كان يعتبر أمرا خارقا وجـديرا بأن يلفت النظر !

وينبغى أن نسجل أن المرأة-السورية كانت أول امرأة عربية دخلت باب الانتخاب ولو فى حدود ضيقة ، وهذه ظاهرة اجتماعية تؤكد الرقى الكبير الذى بلغته هذه البلاد فى عهدها الاستقلالى الزاهر ٠

وأضاء هذا الواقع الارتقائى جانبا مهما من نصـوص التشريع المتعلقة بالزواج والطلاق ، فضمن سماحة الشرع وحرصه على كيان الاسرة من أن ينهار لمجرد الطلاق فى حالاتٍ نفسية غير طبيعيـة تعترى الرجل ، وراعى ارتقاء التشريع الدقة فى سن الزواج تفاديا لأزمات عائلية واجتماعية ٠ وبذلك ندر تعدد الزوجات فى الوقت الحاضر ، وأغلقت الأبواب المؤدية الى انحلال العائلة ٠

ويمكن القول بأن التشريع بأشكاله العديدة وأغراضه المختلفة ، قد بلغ من التجديد والضخامة والتطور فى السنوات العشر التى أعقبت الجـلاء ما يدل على النهضة التى بلغتها سورية فى النواحى الاجتماعية ٠

الفلاح السورى : ليس الوضع فى الارياف زاهيا كما تعنى هذه الكلمة ، ولكنه على كل حال أصاب من التقدم فى عهد الاستقلال مرحلة تكاد تكون كبيرة اذا علمنا أن كل جهود الاستعمار وسياسته فى هذه البلاد كانت تستهدف ابقاء الريف فى الظلام والجهل والمرض لشل القوى الاجتماعية الكبرى الكامنة فيه التى تؤلف نحو ثلاثة أرباع الشعب العربى فى سورية ٠

فقد سلط الاستعمار الاقطاعيين على الفـــلاحين ، وأرهق الملاك الصغار بالضرائب ، وعزل القرى عن المدن بتعمده عدم انشـــاء طرق أو خطوط للمواصلات ، وحرم القرى من الطب والعلم وكل ما تستلزمه شئون الحياة • ولكن هذه التركة المثقلة التى خلفهـــا الاستعمار فى الريف السورى لم تعد كما كانت ، فقد أخذت القوانين تتجه من الناحية التشريعية نحو تمليك الفلاحين الصغار والمتوسطين أراضى الدولة كما تتجه الى حمايتهم • كما ان الدولة شجعت على زراعة الأقطان وعلى التشجير • وتص الدستور من الناحية التعليمية على ضرورة محو الامية من سورية خلال عشر سنوات ، ولا يكون ذلك الا بتوسيع شبكة المدارس فى القرى • وقامت الحكومة بجهد كبير فى هذا الاتجاه • ومن ناحية المواصلات نظمت اتجاهات طرق كثيرة لتمر بالقرى المعزولة ، وشقت طرق جديدة • وتتجه النيـة الآن الى مد شبكة طويلة من السكك الحديدية تصل أطراف البلاد بعضها ببعض •

وبذلت جهود أدت الى رفع مستوى القرى السورية نسبيا، وذلك عن طريق العناية بالارشاد الزراعى ، وتنظيم المشـــاتل والمراكز الزراعية الفنية فى كل المراكز ، لمد الفلاحين بما يحتاجون اليه من بذور جديدة ومن شتول وطعوم للاشجار ، ومن أسمدة ووســائل لمكافحة الحشرات ، أضف الى ذلك ان تكاثر عدد المدارس الزراعيـة والبيطرية ، سيزود أبناء الارياف بعدد متكاثر من المختصين ذوى الآفاق الواسعة فى الشئون الزراعية ، وليس بعيدا عنا اليوم الذى تنشأ فيه كلية للزراعة والبيطرة فى الجامعة السورية •

وكان من عوامل تقدم الريف السورى كذلك انتشـــار أجهزة الراديو فى الارياف، وعناية الاذاعة بالبرامج الموجهة لافكار القرويين، وقد شمل انتشار الراديو حتى القرى المحرومة من الـكهرباء وهى ما تزال كثيرة ، ولكنها تتناقص باستمرار تبعا لتكاثر مشروعات الكهرباء الجديدة •

ان الجيش السورى أكبر مدرسة لمكافحة الأمية ، وفى الفرع الثقافى التابع للجيش السورى جهاز كامل وضع كتبا لمكافحة الامية ، ونظم المشروعات لتنفيذها ، وكل مجند يترك الجيش اليوم يتركه وهو يحسن القراءة والكتابة، أضف الى ذلك أن المجند يكتسب فى الجيش عادات صحية واجتماعية فيها خلاصة التقدم المدنى ، وهو حين يعود بعد الخدمة الى قريته، يعود اليها يحمل عادات مدنية صالحة تحمله على ألا يرضى بمستوى عيشه القديم ، وأن يسعى الى رفعه ورفع من معه الى المستوى الجديد · انه يعود الى قريته بشعور قوى بأنه انسان حر كريم مساو لبقية أبناء الشعب ، وانه كغيره حارس لكيان الامة ، ولقد غدا من الصعب أن يسلط الظلم على مجند قديم ، أو ينتقص منتقص من حقوقه الكاملة · والذين يعرفون وضع القرى السورية النائية من قبل ، وكيف كان يسيطر فيها ذوو السلطان سيطرة لا ينازعهم فيها منازع ، يدركون أثر خدمة العلم فى رفع القروى الى مرتبة المواطن ، وفى تخليص الريف من شعور الضعف الذى كان يعصف بنفوس أبنائه ·

الحياة العائلية : لم تعد العائلة السورية فى وقتنا الحاضر تحاكى العائلة القديمة فى منهاج حياتها وشروط هذه الحياة ، فقد فرض النظام الحر القديم وجود عائلات كبيرة كل منها وحدة اقتصادية وفى كل منها يتعايش عدد كبير من الرجال والنساء الخاضعين لحياة العائلة ومقتضياتها ولنفوذ رب العائلة · على أن سير النظام الحرفى الاقطاعى فى طريق الاندثار ، وقد ترك أثره فى حياة الاسرة السورية فأصبح قوامها أسرة الزوجين وأولادهما ما داموا صغارا ، وكان من آثار ذلك أن ضعفت العصبية العائلية القديمة ، وقويت مكانها عصبية المواطنة ، أى أن شعور الفرد بأنه مواطن أصبح أقوى من شعوره بأنه ابن عائلة معينة ، وفى هذا تطور ديمقراطى محسوس · ونما عند المواطنين من جهة ثانية الشعور بالمسئولية الشخصية ، وبضرورة الكد بغية التملك الشخصى ، كما نشأت أحكام غايتها

ازالة شيوع الاراضى للقضاء على الخلافات التى تنشـأ فى القرى والمدن من جراء تشعب الملكية المشتركة وتبعثرها وزيادة عناية المنتج الصغير بملكه الصغير ·

ونتيجة لهذا الوضع العائلى الجديد القائم على الاسرة الزوجيـة الصغيرة ، اتسع نطاق العمران فى المدن ، لأن أبناء المدينة القديمة الواحدة متى غادروا المنازل العائلية المشـتركة الى منازل منفصلة يحتاجون بطبيعة الحال الى أضعاف المساحة التى تقوم عليها المدينة القديمة · ومن هنا انتشر العمران صوب الاحياء الجديدة ، واتسم بسمات العصر الحديث ·

وقد أدى صغر العائلة من جهة ثانية الى زيادة العناية بتربيـة أطفالها وتنوع الاختصاص فيها حسب الميـول لا حسب القواعد العائلية الحرفية القديمة التى كانت تحتم أن يكون ابن النجار نجارا وابن الحداد حدادا . وكان من جراء ذلك أن انطلقت الكفايات على مداها الرحب ·

انتشار الثقافة : لا تمكن المقارنة بين ماضى سـورية التقافى وحاضرها ، فسورية كانت فى ظل العثمانيين بلدا تشيع فيه الامية شيوعا كاملا مطلقا ، ويتكلم أهله بلهجات عامية محلية كثيرةالتباين، وتندر فيه المدارس الثانوية ، وتقوم « الكتاتيب » لتعليم مبادىء الكتابة بقوة العصا ·

وذهب العثمانيون وجاء فى أعقابهم الفرنسيون فاضطرهم صك الانتداب رغم سياستهم الاسـتعمارية الى نشر شىء من التعليم فى المدن الكبرى فقط . وفى عدد ضئيل جدا من القرى ، مع تشجيع التفرقة الطائفية عن طريقها ، وظلت المدارس الـثانويه محدودة قليلة . والجامعـة لم تضم فى عهدهم الطويل سـوى فرعى الطب والحقوق ·

وبعد جلاء الفرنسيين وحلول عهد الاستقلال تحققت نهضة علمية لم يعرف تاريخ أى بلد أكبر منها . ان ستة دور معلمين ومعلمات تعمل بلا انقطاع ، ويتعلم فيها كل سنة ١٢٧٢ طالبا (احصـــاء ١٩٥٥) وهذا العدد لا يسد حاجة المدارس المفتتحة فى كل عام من المعلمين والمعلمات ، ولهذا اضطر القائمون بالامر الى تعيين المعلمين من حملة الشهادات المختصين .

والذين يتخرجون من كليات العلوم والآداب والتربية ، ومن يعودون من معاهد أوربا من حملة الشهادات العالية كذلك لا يسدون حاجة المدارس المتوسطة والثانوية الى المدرسين ، فيؤخذون من معلمى الابتدائى ومن المحامين والاطباء والمثقفين غير المتفرغين للتدريس لقاء تعويضات عن الساعات الاضافية ، وأصبح التعليم فى سورية تعليما شعبيا واسعا ، آخذة نقائصه فى الزوال والتلاشى .

وكان من أثر انتشار المدارس وتبادل المعلمين والمدرسين وتكاثر الاستماع الى الاذاعة السورية وأحاديثها أن سارت اللهجات المحلية فى طريق التقارب فالتوحد ، كما ارتقت اللغة الشعبية وأصبحت تسير نحو عامية المثقفين .

أرقام عن التعليم :

(أ) المدارس الابتدائية الرسمية للذكور :

ازداد عدد هذه المدارس من ٦٠٧ الى ١٥٩٤ ، وعدد المعلمين من ١٨٠٢ الى ٥١١٨ ، وعدد التلاميذ من ٧٣١٣٧ الى ١٩١٥٣٩، أى أن نسبة الزيادة بلغت نحو ١٨٠ فى المائة لكل الفروع .

(ب) المدارس الابتدائية الرسمية للبنات :

ازداد عدد هذه المدارس من ١٣٠ الى ٣٥٠ ، والمعلمات من ٦٩١ الى ٢٠٦٤ ، والتلميذات من ٢٦٥٦٦ الى ٦٨٥٩١ .

(جـ) المدارس الابتدائية الخاصة للذكور والاناث :

تناقص الموجود منها ، لانتشار التعليم الرسمي الموحد ، فأصبح تلاميذها ٦٦ ألفا بدلا من ١٠٦ آلاف ٠

(د) المدارس الثانوية الرسمية للذكور :

ارتفع عددها من ١٦ الى ٤٣ وعدد المدرسين من ٣٥٠ الى ٧٩٧ وعدد التلاميذ من ٢٦٥٢ الى ٢٣٧٤٩ فالزيادة قاربت ٢٨٠ فى المائة ٠

(هـ) المدارس الثانوية الرسمية للبنات :

ازداد عددها من ١٢ الى ٢٢ ، والمدرسات من ١٢٢ الى ٢٧٨، والتلميذات من ٢٠٢٤ الى ٨٥٩٩ ونسبة التلميذات قد أربت على ٣٠٠ فى المائة ٠

(و) المدارس الثانوية الخاصة للذكور والاناث :

ازداد عددها كثيرا فارتفع من ٣٧ مدرسة عام ١٩٤٥ الى ١٤٧ فى عام ١٩٥٥ ومدرسوها ازدادوا من ٣٨١ الى ١٤٩٩. وتلاميذها من ٣٣٢٢ الى ٢٤٢٠٥ أى ان الزيادة قاربت فى التلاميذ ٧٠٠ فى المائة ٠

(ز) دور المعلمين والمعلمات :

ازداد عددها من ٤ الى ٦ بينها مدرستان للمعلمات ، وازداد عدد مدرسيها من ٦٢ الى ١٥٠ ، وعدد الطلاب المعلمين فيها من ٣٨٨ الى ١٢٧٢ فالزيادة قاربت ٢٨٠ بالمائة ٠

(ح) التعليم المهنى للذكور :

ارتفع عدد المدارس من ٥ الى ١٠ مدارس بينها ٣ للبنات ، وازداد عدد التلاميذ فيها من ٩٨١ الى ١٩٤٤ بينهم ٤٩٣ بنتا

(ط) ارتفعت ميزانية المعارف من ٩ ملايين و ٩٥٣ ألف ليرة فى عام ١٩٤٥ الى ٤٨ مليــونا و ٣٩٧ ألف ليرة ، وارتفعت كذلك ميزانية المعارف بالنسبة لميزانية الدولة من ٦ر٩ فى المائة فى عام ١٩٤٥ الى ٦ر١٨ فى المائة عام ١٩٥٥ وليس فى الدنيا بلاد كثيرة لها مثل هذه الميزانية الكبرى للتعليم وفيها مثل هــذا الاهتمام بتطبيق المبدأ الدستورى القائل بمحو الامية فى خلال عشر سنوات ٠

الجامعة السورية :

(أ) فى عام ١٩٤٥ : كان فى الجامعة السورية كلية طب لها فــروع للطب والصيدلة ، وطب الاسنان ، ومدرسة للقبالة ، وقد كان مجموع طلابها جميعا ٣٩٦ بينهم ثلاث طالبات طب و ٦١تلميذة فى فرع القبالة ٠ وكان فى الجامعة كلية للحقوق فيهــا ٤٠٠ طالب بينهم ٨ طالبات فيكون مجموع طلاب الجامعة ٧٩٧ بينهم ١١ طالبة ٠

(ب) فى عام ١٩٥٥ بلغ عدد الكليات سبعا هى : الطب (بفروع الطب والصيدلة وطب الاسنان والقبالة والتمريض) ثم الحقــوق والهندسة والآداب والعلوم والتربية والشريعة ، وبلغ عدد طلابها جميعا ٤٩٨٥ منهم ٩٢٩ طالبة ، ومما يلفت النظر أن فى كلية الهندسة سبع طالبات ٠

والجامعة السورية تضم بين جدرانها عددا كبيرا من أبناء البــلاد العربية والشرقية ، وقد كان فيها عام ١٩٥٥ : ٥٧ طالبا لبنانيا و١٩ طالبة و٢٠٠ طالب فلسطينى و ٣٤ طالبة ، و ٧٨ أردنيا و ٥طالبات و٤٥ عراقيا و ٣ طالبات ٠ وفيها ثلاثة مصريون ، وسعودى ،وخمسة من حضرموت ، وأربعة جزائريين ، وجزائرية واحدة ، وتســعة مراكشيين و ٢٣ تونسيا ، وأربعة ايرانيين ، وثلاثة أتراك وبرازيلى وأربعة يونانيين ٠

هذا وان رسالة الجامعة السورية هي رسالة الفكر العربي المشرق، رسالة الوحدة العربية ٠

ويقودنا الموضوع الى التنويه بأن النشاط الفكري العام في سورية يتجلى في عدد الصحف الكبير وعدد المجلات الوفير ، كما أن الاندية الثقافية ناشطة ، ففي كل يوم تقريبا تلقى محاضرة ، وكذلك الاندية الفنية التي تعنى بشئون التمثيل ، وتسعى لاقامة مسرح شعبي كبير في سورية ٠ كما أن دور النشر تعمل دون انقطاع على ترجمة عيوب الادب العالمي ونشر الكتب التي يؤلفها الادباء المحليون، ولولا بعض الحواجز السياسية المؤقتة التي تحول دون انتشار الكتاب السوري في الاقطار العربية الاخرى لازدهر النشر والتأليف ازدهارا كبيرا ٠

مصر :

ترتبط الحياة الاجتماعية في مصر بشبكة ضخمة تمثل نشاط المجتمع المصري ، المدينة والقرية ، وقد أصبح هذا المجتمع في وضعه الحالي مجتمعا عاملا متجها الى الانتاج بعد أن كان في الماضي مهملا مفككا مضغوطا عليه بوسائل كثيرة من السيطرة الاجنبية الخارجية، ومن الاستغلال والانتهازية في الداخل ٠

وقد أصبح من أسس النظام الاجتماعي المصري جعل التضامن الاجتماعي أساسا للمجتمع ، واقامة دعائم الاسرة على أساس الدين والاخلاق والوطنية ، وكفالة الدولة للحرية والامن والطمأنينة ، وكفالة الفرص لجميع المواطنين ٠

ولذلك صدرت تشريعات كثيرة لضمان حياة العمال الاجتماعية ٠ ولتنظيم النقابات ، حتى أصبح العامل العربي في مصر من أعمدة الحركة العمالية العربية التي أثبتت وجودها وتفاعلها مع الاحداث منذ حرب السويس حتى الآن ٠

كما أصبح التعاون من مبادىء المجتمع العربى فى مصر ، وتقوم الجمعيات التعاونية برسالة ضخمة فى القرى والمدن المصرية ٠

ويرتبط المجتمع أيضا بروابط هامة هى التأمينات الاجتماعية ضد الشيخوخة والعجز والوفاة ، وضد اصابات العمل وأمراض المهنة والتأمينات الصحية ، وتأمين البطالة وغير ذلك ٠٠

ويتجه المجتمع المصرى نحو تنظيم البر فى القطاع الاهلى ، فتعاون الحكومة عليه ، وتدعو اليه ٠ كما يتجه أيضا الى رعاية الاحداث وحمايتهم ، والى تأهيل ذوى العاهات للمهن المناسبة لهم ٠ وقد وضعت كذلك أسس ثابتة للاعانة ، تأكيدا لمعنى التضامن الاجتماعى ٠

ووصلت المرأة فى مصر الى مركز اجتماعى مرموق ، وقد تخرجت فى الجامعات المصرية منذ سنوات طويلة مئات المصريات اللائى يعملن فى الطب والمحاماة والزراعة والصحافة والتعليم والهندسة ومختلف الاعمال والوظائف ٠

وتقوم المرأة المصرية بنشاط كبير فى سبيل خير المجتمع ، ورفاهية أبنائه ، والنهوض بمستواهم ، وأهم الميادين التى تؤدى فيها المرأة فى مصر خدماتها ميدان الخدمة الاجتماعية ٠

الفلاح المصرى : وثبت الحياة الاجتماعية للفلاح المصرى وثبة جديدة أخرجته من عهود الاقطاع الى عهد الحرية والنور ، وكانت الوسيلة الى ذلك :

١ ــ تعميم مياه الشرب النقية فى الريف ٠

٢ ــ انشاء المدارس فى أعماق الريف المصرى ٠

٣ ــ انشاء الوحدات المجمعة التى تخدم الفلاحين من الناحية الثقافية والصحية والتعليمية والترفيهية ، اذ أن كل وحدة تضم مدرسة وقاعة للسينما والمحاضرات ، ومستوصفا للعلاج وصرف الدواء ٠

العلم والثقافة :

اتجه التعليم فى مصر اتجاها تصاعديا ، وحقق خلال الخمس سنوات الماضية ، مالم يحقق خلال عشرات السنين الماضية .

دستور الثورة فى التربية والتعليم :

ولكى تتلاءم سياسة التعليم مع السياسة العامة للبلاد ، رسمت الخطة على أساس الموازنة بين عدد الطلاب المقبولين فى كل مرحلة من المراحل بعد المرحلة الابتدائية ، وما تحتاج اليه كل مرحلة من الخريجين فى كل فرع من فروع العلم أو فروع الخبرة الفنية ليكون فى البلاد العدد الكافى من ذوى الخبرة فى الصناعة ، وفى الزراعة ، وفى فنون التجارة الى جانب ذوى الاهليات للبحوث والابتكارات فى الفن والأدب وأنواع المعارف المختلفة .

وبذلك يمكن تلخيص دستور التربية والتعليم فى الكلمتين التاليتين :

(أ) التعليم الابتدائى للجميع .

(ب) ما فوق التعليم الابتدائى يكون على قدر حاجة البلاد فى حاضرها ومستقبلها .

وقد كان نقص عدد المعلمين فى كل نوع من أنواع التعليم عقبة فى سبيل تنفيذ هذه السياسة ، ولاحظنا فى سبيل ذلك أن مقتضيات التوسع فى التعليم الماضى لم تأخذ فى اعتبارها عدد المعلمين اللازمين لهذا التوسع . فكان من أثر ذلك أن عينت الوزارة آلاف المعلمين غير المؤهلين تربويا للاضطلاع بهذه المهمة ، وكان لا بد من علاج لهذا الوضع :

أولا : تكميل ثقافة المعلمين المشار اليهم وزيادة خبرتهم الفنية . ومن أجل ذلك رسمنا برنامج التدريب ليستوفى هؤلاء المعلمون حظهم من الثقافة والفن جميعا .

ثانيا : وضع تخطيط كامل لسياسة تخريج المعلمين لكل مرحلة

وكل نوع من أنواع التعليم ، وقد اقتضانا هذا أن نزيد عدد مدارس المعلمين زيادة تلائم مقدار حاجتنا الى المعلمين فى المستقبل القريب والبعيد · ولم نغفل فى هذا الشأن حاجة البلاد الشقيقة الىالاستعانة بأعداد كثيرة من المعلمين المصريين فى كثير من الفنون ·

نهضة التعليم الفنى :

وقد ازداد التعليم الفنى وتنوع وارتقى نوعه الى القـــدر الذى يساير حاجات البـــلاد ومقتضيات التصنيع والتقـدم الزراعى فى البلاد ، ولم يدخر وسع فى تيسير أسباب العمل لخريجى المدارس الثانوية الفنية ، بحيث نستطيع أن نقول انه ليس فى مصر اليوم متعطل واحد من خريجى المدارس الثانوية الصناعيـــة أو المدارس الثانوية التجارية ، وهو أمر يدعونا الى الامل فى ان يكون الاقبـال على التعليم الثانوى الفنى فى السنوات المقبلة بحيث يحقق للبــلاد وجود جيل من ذوى الخبرات الصناعية والزراعية والتجـــارية يفى بحاجات نهضتنا الصناعية والتجارية والزراعية ·

ولدعم التعليم العالى والجامعى تم الربط بين التخطيط العـــام لمشروعات الثورة وعدد الطلاب فى كل نوع من أنواع التخصيص العالى ، والى جانب الجامعات الثلاث القائمة وجامعة أسـيوط التى افتتحت بعض كلياتها ، تقرر انشاء معاهد عالية فى الزراعة والصناعة والتجارة فى عواصم البلاد المختلفة ·

ولم نغفل الى جانب ذلك الدراسات العالية فى الآداب والفنون والعلوم فأنشىء المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، والمجلس الاعلى للبحوث العلمية ، ولجنة الطاقة الذرية ·

ويرى القارىء فيما يلى بيانا احصائيا عن التعليم العام لمصر فى السنة الدراسة ١٩٥٧ — ١٩٥٨ عدا الجامعات المصرية والجـــامع الازهر الشريف :

احصاء التعليم العام فى مصر عن السنة الدراسية ٥٧ ـ ١٩٥٨
ماعدا الجامعات والأزهر

نوع التعليم	عدد المدارس	أقسام ملحقة	عدد التلاميذ: بنين	بنات	الجملة	هيئة التدريس: رجال	نساء	الجملة
مدارس ابتدائية	٧٤٢٣	٧٠	١ر٣٠٢ر٧٤٣	٧٨٣ر٩٦١	٢ر٠٨٦ر٧٠٤	٤٢ر٣٧٦	١٩ر٢٦٧	٦١ر٦٤٣
مدارس اعدادية	٧٣٩	١٣٤	٢٠٧ر٥٠٦	٦٩ر٤٥٢	٢٧٦ر٩٥٨	١٣ر٣٤٨	٣ر١٦٤	١٦ر٥١٢
مدارس ثانوية	٢٠٣	٧٤	٩٠ر٦٧٢	١٨ر٧٢٣	١٠٩ر٣٩٥	٧ر١٢٤	١ر١٩٩	٨ر٣٢٣
مدارس اعدادية فنية تجارية وصناعية وزراعية ونسوية	٨٢	١٠	١٨ر٢٨٣	٣ر٩٩١	٢٢ر٢٧٤	١ر١٢٩	٨٩	١ر٢١٨
مدارس ثانوية فنية تجارية وصناعية وزراعية ونسوية	٨٨	١٦	٣٢ر٣٤٣	٧ر٨٩٢	٤٠ر٢٣٥	٢ر٨٢٥	٦٣٢	٣ر٤٥٧
مدارس المعلمين والمعلمات	٧٢	٢١	١٣ر٠٨١	١٠ر٥٦٧	٢٣ر٦٤٨	١ر٥٤٧	٧٩٤	٢ر٣٤١
المعاهد العليا	٣٣	—	٦ر٨٨٥	٣ر٧٢٤	١٠ر٦٠٩	٥١٦	٥٥٨	١ر٠٧٤
المجموع الكلى	٨٦٣٩	٣٢٥	١ر٦٧١ر٥١٣	٨٩٨ر٣١٠	٢ر٥٦٩ر٨٢٣	٦٨ر٨٦٥	٢٥ر٧٠٣	٩٤ر٥٦٨
	٨٩٦٤							

وحدة التاريخ والكفاح

هذه الملامح التي وضحتها عن الوحدة المادية بين سورية ومصر في واقعها الجغرافي ، والاقتصادي ، والعلمي ، والثقافي ، كانت نتيجة طبيعية لاتحاد اقليمي الجمهورية ، وأحب أن أطلع القارىء على الحقيقة التاريخية في الموضوع كما كتبها مؤرخ العرب الاستاذ أمين سعيد في مقال له نشره في مجلة « المختار » الدمشقية ، حيث فصل مراحل الوحدة في الماضي .فقال :

ليس اتحاد أو اندماج دولتي العرب في مصر وسورية بعضهما في بعض ، أول حادث يحدث في تاريخ العرب السياسي . فقد سبق لهذين القطرين ان اندمجا أربع مرات في دولة واحدة هذا بيان عنها ٠

١ ـ في عهد الدولة الاموية

لقد ظللت الدولة الاموية هذين القطرين وكانت دمشق عاصمة لها ، وقد ولدت في سنة ٤١ هـ وانهارت سنة ١٣٢ هـ وكانت باتفاق المؤرخين والباحثين أعظم دول العرب شأنا ، وأكثرها تمسكا بعروة القومية الوثقى ، وحرصا عليها ٠ وحسبها شرفا وفخرا انه تم على يدها ، افتتاح شمالي افريقية واحتلال اسبانيا وامتلاك بعض أجزاء فرنسا وألمانيا وسويسرا ٠

وكذلك بلغت جيوش هذه الدولة التي اتجهت شمال القسطنطينية وضربت الحصار عليها لولا ان أصدر الخليفة التقي الصالح عمر بن عبد العزيز أوامره الى مسلمة بن عبد الملك قائد الجيش المحاصر ، بأن يتراجع وينسحب ٠ وفي سنة ١٠١ هـ تم له فتحها فقد كانت على وشك الاستسلام وكان الحصار آخذا مفعوله في نفوس أبنائها وسكانها ٠

ومشت جحافل هذه الدولة من العراق أيضا فبلغت حدود الصين في تقدمها شرقا ، وأخضعت معظم أقطار آسيا الوسطى لسلطانها وكانت هنالك قوات عربية أخرى زحفت نحو الهند بطريق الخليج العربى ، وهو الذى يسمونه خليج فارس خطأ ، فاستولت على جميع الاقطار الواقعة على ضفتى هذا الخليج ، ودخلت بلاد السند ودقت أبواب الهند نفسها .

وهكذا ... فأنت ترى ان أعظم دولة امبراطورية أسسها العرب ، كانت عاصمتها دمشق وكانت تظلل القطرين المصرى والشامى بظلها ، وتستمد منهما القوة والنشاط والعزم .

٢ — فى عهد الدولة الايوبية

وعاد القطران فاتحدا مرة ثانية وألفا دولة واحدة هى الدولة الايوبية ، التى خلفت الدولة الفاطمية ، التى نشأت فى الاصل بالمغرب ثم استولت على تونس ومنها زحفت الى مصر فى القرن الرابع للهجرة .

الغزو الصليبى

واستهدف العالم العربى ، بل العالم الاسلامى كله ، فى عهد هذه الدولة، لخطر جسيم، فقد جمعت شعوب أوروبا جموعها، وجيشت جيوشها ، وأغارت على الشرق العربى ، تريد امتلاكه واذلاله ، والقضاء على ما له من مقومات وخصائص ، وانشاء حكومات أوروبية صليبية فى ربوعه ، فانبرى لها الشعبان الكريمان (المصرى والسورى) فى ظل الدولة الايوبية ونازلاها فى معارك كثيرة وهزما الحملات الست التى جاءت الى هذه البلاد ، وما فات هذه الدولة أتمته دولة المماليك التى نشأت بعدها فى مصر والشام وسادت القطرين على السواء .

٣ ـ دولة المماليك

نشأت هذه الدولة سنة ٥٧٤ هـ أي فى أواخر القرن السادس الهجرى وعلى أنقاض الدولة الايوبية وكانت الحرب الصليبية لا تزال دائرة الرحى مشبوبة اللظى فاقتحمتها يؤيدها ويشد أزرها الشعبان الشقيقان . وقضت عليها .

وهكذا وبفضل اتحاد هذين الشعبين وتآخيهما نجا العالم العربى بل الشرق كله من الخطر الصليبى واحتفظ باستقلاله وسيادته وكيانه ، ولا بد لنا من القول ان أبناء هذين القطرين وحدهما حملا أعباء تلك الحرب الثقيلة وآدارا رحاها وقد امتدت نحو قرنين وكلفتهما ثمنا غاليا وتقاضتهما الالوف المؤلفة من النفوس، ومن بذر الاموال ، وكل شيء يهون فى سبيل المحافظة على الديار ، وحماية الثمار ، واعادة العدو مذموما مدحورا .

الغزو التترى

وما كاد شرقنا العربى يتنفس الصعداء ، بل ما كاد أبناء هذين القطرين يرتاحون من الحرب الصليبية وقد اشتركت فيها معظم شعوب أوربا وقادتها وملوكها واقيالها ، فكان هنالك ملك الانجليز (ريكاردوس ـ قلب الاسد ـ وملك الفرنسيين لويس التاسع وقد أسره الجيش الموحد فى معركة المنصورة وسجن فى دار ابن لقمان ، حتى فوجيء هذا الشرق أيضا ، بغارة أشد وأدهى ونعنى بها غارة التتر أو المغول فقد اكتسح هؤلاء الوحوش آسيا الوسطى ودكوا ما كان فيها من عروش ، وصوحوا عمرانها وأفنوا معظم سكانها ، وبلغوا فى تقدمهم مدينة حلب فاستولوا عليها ، كما استولوا على دمشق وكان ذلك فى أوائل القرن التاسع ومنها أخذوا يعدون العدة لغزو مصر واكتساحها فنازلهم الجيش الموحد فى معركة عين جالوت بجوار بيسان (فلسطين) فكتب الله له النصر وانهزم التتر وتمزقت

جموعهم • ودارت بعد ذلك معركتان كللتا بانتصار الجيش الموحد ، وتقهقر عدوه ، وهكذا تم للدولة المصرية ـ السورية انقاذ الشرق العربى من الغارة التترية ، فانحسر مدهم بعد طغيانه وارتدوا الى قواعدهم فى الشرق الاقصى الذى تسللوا منه • وغنى عن البيان ان اليد الكبرى التى أسـدتها الدولة الموحدة ، للشرق العـربى وأبنائه بانقاذه من هاتين الحملتين الظالمتين : حملة الصليبيين وحملة المغول لا تقدر ولا تثمن ، فلولاها ولولا تضامن الشعبين وبذلهما النفس والنفيس فى سبيل الفوز والنصر لكان مصير هذا الشرق كله مبهما ومجهولا •

القضاء على الغزو الصهيونى

وما تم على يد الدولة الموحدة ، (دولة مصر والشام) فى القرنين الخامس والسادس ثم فى التاسع من القضاء على تينك الحملتين سيتكرر الآن ان شاء الله ، فيتم على يد الدولة الجديدة القضـاء على الغزو الصهيونى ، واراحة البلاد من أخطاره وبلاياه وهو ما يترقبه الجميع بعد الآن أسوة بما جرى فى المـاضى ، والامور تقاس بأشـباهها ونظائرها والتاريخ يعيد نفسه دائما •

٤ ـ اتحاد القطرين فى عهد محمد على

لقد حمل السلطان سليم العثمانى على مصر والشام فى العقد الثالث من القرن العاشر للهجرة يريد افتتاحهما واضافتهما الى ممتلكاته ، فتلقاه السلطان قانصوه الغورى فى مرج دابق بجوار حلب فدارت المعركة الفاصلة يوم ١٥ رجب ٩٢٢ هـ وانتهت بانتصـار الترك العثمانيين ويقال ان خيانة أحد قواد الجيش واسمه خيرى بك وهو من المماليك كانت العامل الاكبر فى فوز العثمانيين فواصلوا تقدمهم

جنوبا بدون مقاومة تذكر فدخل السلطان سليم القاهرة يوم أول محرم ٩٢٣ فكان ذلك نهاية الدولة الموحدة وفاتحة الاحتلال التركى وقد امتد نحو أربعة قرون ، ماعدا فترة وجيزة . وكان بلاء وشؤما على القطرين وأهلهما ، فقد زحف الجيش المصرى يوم ١٤ اكتوبر ١٨٣١ من القاهرة الى الشام يريد انشـاء الدولة العربية الكبرى فاستقبله الشاميون على الحدود بالهتاف والتصفيق وسـاروا فى مقدمته فانقادت اليه البلاد كلها وهللت لقدومه ورحبت به أصدق ترحيب .

الحياة الروحية

تقوم الحياة الروحية فى تشكيلها الفكرى والنفسى على أسس واحدة فى اقليمى الجمهورية ، وقد تم تشكيل الاطار الروحى للشعب فيهما خلال مئات السنين ، ولم تستطع القوى المختلفة ايجاد الانفصال رغم المحاولات الكثيرة التى بذلت فى سبيل ذلك خلال فترات تاريخية مختلفة .

ومعنى الوحدة الروحية بين أبناء الشعب العربى ، هو قيام التوافق الفكرى والنفسى بين الملايين من أبنائه ، واشتراكهم فى اتجاه واحد تحتمه الضرورة المادية .

وقد سبق بيان وجوه المشاركة المادية فى الوضع الجغرافى بين الشام بمدلولها الحقيقى ، وبين مصر حيث لا انفصال بينهما من الوجهة الطبيعية ، كما دل بحث الاحوال الاقتصادية على أن التكامل الاقتصادى بين سورية ومصر حققته الطبيعة تحقيقا كاملا أيضا ، فالنهوض الصناعى مشترك بينهما اشتراكا واقعيا من نواح متعددة :

١ ـ وجود بيئة زراعية يمكن تصنيعها فى الاقليمين .
٢ ـ وجود مادة الحديد فى الاقليم المصرى مما يحتم قيام الصناعة
٣ ـ وجود منابع القوى الكهربائية فى أسوان (خزان أسوان والسد العالى) فى الاقليم المصرى يعتبر متمما لوجود الحديد فيها .
٤ ـ قوة الايدى العاملة فى الاقليمين ، حيث يبلغ عدد سكان الجمهورية الآن ٢٨ مليونا ، يملكون طاقات ضخمة تحتاج اليها عمليات التصنيع .

أما التكامل الثقافى والعلمى فانه ليس فى حاجة الى بيان أو ايضاح . لان الثقافة العربية الموحدة تجمع أبناء الاقليمين منذ مئات

السنين ، ولم تتمكن عوامل الانفصاليـة من ابعاد السـوري عن المصري ، أو المصري عن السوري، لان منهل الثقافة واحد لم يتعدد ، وقد كان التيار الثقافي والعلمي مستمرا في اتجاهاته خلال قرون طويلة جمعت الفكر العربي داخل ذلك الاطار الذي تحدده معالم الشخصية العربية في نموها وارتقائها وارتفاعها .

واذا حاولنا ادراك الوحدة الشعورية التي جمعت بين السوريين والمصريين خلال العصر الحديث ، استطعنا أن نذكر من مراحل الكفاح المشترك بين الاقليمين ما يفتح الابواب أمام الباحثـين المدققين في التاريخ .

ان تعاون السوريين مع المصريين في كفاحهم ضد حملة نابليون بونابرت يتمثل في القصة الخالدة التي كتبها (سليمان الحلبي) حين قتل الجنرال كليبر في قلب القاهرة ، وجعل من حياته وهو السوري المكافح في سبيل قوميته العربية قربانا لهذه القومية التي بدأت تنمو وتزدهر منذ مطلع العصر الحديث .

كما أن تعاون السوريين مع المصريين في كفاحهم ضد حملة العدوان الثلاثي الغادر على مصر في اكتوبر ١٩٥٧ يتمثل أيضا في القصـة الخالدة التي كتبها (جول جمال) فوق سطح البحر الابيض المتوسط امام بورسعيد الخـالدة ، فقد جعل (جول جمال) من حيـاته وهو السوري المكافح في سبيل قوميته العربية قربانا لهذه القومية في ازدهارها ونموها في هذا العصر الذي نعيش فيه .

ان دوافع الحياة الروحية المشتركة بين أبناء الاقليمين تتمثل في ناحيتين :

١ ـ المشاركة العملية في كفاح مشترك .

٢ ـ المشاركة الوجدانية من أجل بناء وطن قوي .

وفي ظل هذه المشاركة العملية الوجدانية ، تمت الوحدة الفكرية والنفسية خلال مراحل التاريخ ، وانصهرت تحت ضغط الاحداث حتى كونت الفلسفة الجديدة لحياتنا الروحية الحديثة ، التي أوضحها فيما يلي من الفصول :

الفصل الأول

القومية العربية ..

القومية هي اعتقاد الفرد بوجود صلة تربط بينه وبين جماعة من البشر تعرف باسم « القوم » أو بمعنى أوسع باسم « الأمة » . وهذا الارتباط يجعل الفرد محبا لخصائص قومه وأمته ، مؤمنا برسالتها ، عاملا على تأدية تلك الرسالة باخلاص واندفاع . وتستمد القومية قوتها الاجتماعية من شعور الافراد والجماعات بمتانة الصلة التي تربط فيما بينهم ، وهذه الصلة قد تكون قرابة في الدم ، أي وحدة في الاصل ، أو أرضا مشتركة يعيشون عليها ، أو لغة واحدة يتكلمونها ، أو دينا واحدا أو تاريخا مشتركا ، أو عقلية واحدة ، أو مصالح مشتركة ، أو هدفا واحدا في الحياة يكون أوسع من أهداف الاسرة ، والقبيلة ، والطائفة ، والمذهب الديني أو السياسي، وهكذا نرى أن نمو المجتمعات القومية ، قد أحل وحدة الشعور القومي محل العائلية والقبلية والاقليمية والتعصب الديني أو المذهبي ، وعمل على توحيد الافراد في وحدات اجتماعية أكبر وأوسع .

والقومية العربية ، هي تلك الصلة التي تربط بين الافراد الذين يعيشون في البلاد العربية ، ويؤلفون المجتمع العربي . وقد تكون تلك الصلة قوية ، وقد تكون ضعيفة ، ولكن لا شك في وجودها

بين أفراد المجتمع العربى ، لان هذه الروابط كلها تشكل العوامل الاساسية فى الوحدة العربية ٠

العامل الأول من عوامل الوحدة : أصل السكان :

يتألف سكان البلاد العربية من أغلبية عظمى من العرب الساميين الذين يرجع أصلهم الى سلالة البحر الابيض المتوسط ، كما بينا سابقا ٠ واذا كانت هناك أقلية من السكان تنتمى الى أصل أو سلالات أخرى ، فان هذه الاقليات العنصرية لا تعد شيئا مذكورا بجانب أغلبية السكان العرب الاصليين ٠

وقد حاول المستعمرون استغلال تلك الاقليات ، وبذر بذور التفرقة والشك فى نفوس السكان عامة ، فقامت دعايات تنادى بالفينيقية ، وأخرى بالقومية السورية ، وأرادوا بعث الفرعونية من مرقدها ، وحرضوا السودانيين ضد مصر العربية، والبربر ضد عرب شمال افريقية ، ولكن جميع هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع، لان ما يوحد بين سكان البلاد العربية ، أقوى وأثبت من أن تزعزعه مثل هذه المحاولات التى يوحيها الاجنبى لتأخير الوحدة وعرقلة النهضة العربية الحديثة ٠

واذا كانت تلك الاقليات ترجع الى أصل يختلف عن الأصل السامى العربى فلا شك أن هنالك عوامل أخرى سنأتى على ذكرها ، تربطها بالعرب ٠ كما أنه لا شك فى أنها امتزجت بالعرب مع مرور الزمن فاستعربت ٠ ونحن لا ننكر أن العرب اختلطوا بكثير من الامم ولم يحافظوا تمام المحافظة على نقائهم العنصرى ، كما أنه مما لا جدال فيه أن وحدة الاصل والدم فى أى بلد من البلاد انما هى وهم من الاوهام ، لا يستند الى حقيقة علمية أو برهان ، لأن جميع الشعوب تمازجت بعضها مع بعض منذ أقدم الأزمنة ، ولا يوجد شعب واحد ظل نقى الدم مائة فى المائة ٠ واذا كان سكان البلاد العربية قد

اختلطوا بالامم الاخرى بعض الاختلاط ، فان سكان الولايات المتحدة وروسيا السوفيتية وغيرهما يشـــكلون فسيفساء من العنـــاصر والقوميات • ومع ذلك فان أكثرية السكان يمكن ارجاعها الى أصل انجلوساكسونى فى الولايات المتحدة وسلافى فى روسيا السوفيتية • أما فى فرنسا فلا تعرف بصورة أكيدة العنصرية الغالبة ، هل هى اللاتينية أم الجرمانية ، لأن لغة الفرنسيين لاتينية ، ولكن القبائل الجرمانية تشكل فى كثير من أجزاء فرنسا أغلبية السكان •

ويمكننا تشبيه الاصـــل العربى ، بالنهر الكبير الذى له عدة روافد ، فكما أن مياه هذه الروافد لا تؤثر فى مياه النهر الا قليلا ، فانها تزول بوجوده وهكذا نحن لا ننكر أن بعض الامم قد اختلطت بالعرب ، وان تمازج الدم مشى جنبا الى جنب مع تمازج الثقـــافة والحضارة ، ولكن ذلك الدم استعرب ، كما استعربت حضارة تلك الامم وتكون من ذلك المزيج نوع من الاخوة يقوم مقام الوحدة فى الاصل •

وقد ساعدت العوامل الاخرى التى سنذكرها على تمكين هـذه الاخوة ، فغدت لا تقل عن وحدة الاصل قوة ومتانة ورسوخا •

العامل الثانى من عوامل الوحدة : الأرض والبيئة الجغرافية :

العامل الاساسى الثانى من العوامل المقومة للقومية العربيـــــة والمساعدة على وحدتها ، هو الارض العربية ، فهذه الارض ذات بيئة جغرافية متشابهة فى تضاريسها ، لانها تحتوى على جبل وســهل وصحراء فى كل جزء من أجزائها ، متشابهة فى تكوينها الجيولوجى، تقع جميعا ــ ما عدا أجزاء بسيطة منها ــ فى المنطقــة المعتدلة ، فمناخ القسم الشمالى من البلاد العربية الاسيوية ، يشابه تماما مناخ القسم الشمالى من البلاد العربية الافريقية ، لانهما ينتميان الى جو البحر الابيض المتوسط ، وبذلك تتشابه الزراعة والحاصلات وطرق استثمار الارض وطراز المعيشة •

كما أن مناخ القسم الجنوبى من البـــلاد العربية كمناخ الجزيرة العربية الصحراوى يشابه مناخ مصر العليا وشمال الســــودان وصحراء ليبيا والمغرب ، وتبعا لذلك تتشابه الحياة الاجتماعية . وما وادى النيل الا واحة كبيرة يغذيها النيل بمياهه ، وهذه الواحة تتشابه مع الواحات الاخرى التى تغذيها العيون والآبار وتحيط بها الصحراء من جميع جهاتها سواء أكانت فى جزيرة العرب ، أم فى صحراء ليبيا ، أم فى الصحراء الكبرى .

كذلك تتشابه المناطق المدارية ، ذات الرياح الموسمية فى جنوبى جزيرة العرب مع المناطق المدارية فى أواسط السودان .

فالتشابه عام فى المناخ ، واذا كانت هنالك فروق بين الشمال والجنوب ، أو كانت هنالك بعض الظروف المحليـــــة التى تسبب الاختلاف فان تلك الاختلافات أقل بكثير من اختلاف المناخ بين شرق الولايات المتحدة وغربها ، أو بين شمالها وجنوبهـــا ، وكذلك فان اختلاف المناطق الشمالية من روسيا السوفيتية عن مناخ القوقاز والقرم أو تركستان أكثر من اختلاف مناخ مناطق البلاد العربيـــة بعضها عن بعض .

واذا ألقينا نظرة على سطح البلاد العربية لاحظنا أن الجبال العالية، تقع قرب الشواطىء بصورة عامة يفصل بينهـــا وبين البحر شريط ضيق من السهول الساحلية ، ويوجد نطاق من الجبال العالية ، فى الشمال والشمال الشرقى ، يفصلها عن بقية العالم الاســـيوى ، وصحارى فى الغرب تفصلها عن العـــــالم الافريقى وهكذا تكون السواحل الجبلية والجبال الشمالية والشرقية والصحارى حدودها الطبيعية .

كذلك نلاحظ امتداد البلاد العربية من جبال زاغروس شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، دون وجود حدود طبيعية فاصلة تماما ، أو

دولة أجنبية غير عربيـــة • فالبحر الاحمــــر الذى يقع بين القسم الآسيوى منها والقسم الافريقي يعد بحيرة عربية بجميع سواحله تقريبا • وتأتي قناة السويس فى الشمال لتكون واسطة ربط هذين القسمين ، لا واسطة انفصالهما •

أما اسرائيل التى جاءت لتشطر بين أجزاء هذا العالم العربى ، ففى وجودها نفسه يكمن الخطر الكبير • فهى طعنة أراد الاستعمار أن يسددها الى قلب البلاد العربية جغرافيا ، ليشطرها شطرين ويضعفها • ذلك أن أهمية موقع البلاد العربية الجغرافى والعسكرى والاقتصادى ، لا تعادلها أهمية أى موقع آخر فى العالم لوقوعها فى ملتقى القارات الثلاث ، بين الشرق عامة والغرب عامة خصوصا بين المعسكرين الكبيرين الشرقى والغربى •

العامل الثالث : اللغة :

اللغة تعبير عن أعمق ما فى نفسية الامم من معان ومدلولات • والكلمات التى تتكون منها اللغة تحيا وتتطور بتطور الأمة ، فهى خلاصــــة تجربتها ، وأصدق دليل على عبقريتها ، وسجل حافل لتراثها وحضارتها ، وهى ركن كيانها الروحى الاعظم ، اذا فقــدته فقدت شخصيتها وتفكك بنيانها المتين •

واللغة العربية دليل حى على عبقرية العرب ، لان ميزتها عن بقية اللغات ، تتجلى فى العلاقة الوثيقة بين الصوت والمعنى والصــــورة الخارجية ، كما تتجلى فى قابلية الاشــتقاق ، فمفرداتها ومعانيهـا تتفرع من أصل واحد أو من أسرة واحدة • أما اللغات الاخرى فلا يوجد فيها مثيل لتلك العلاقة أو شبيه لتلك القابلية •

وقد كانت اللغة العربية وما تزال من أعظم العوامل فى توحيــد العرب مع الاقليات العنصرية التى اختلطت بهم وتمازجت ، فهى التى جعلت هذه الاقليات كالأكراد ، والشركس ، والأرمن ، والبربر ـ

والسودانيين ، تتفاهم مع العرب تفاهما ماديا وروحانيا فآخت فيما بينهم ، وصهرتهم فى بوتقة واحدة ، لانها اللغة الوحيدة التى يتكلم بها جميع سكان الوطن العربى من أقصاه الى أقصاه • وما اختلاف اللهجات من بلد الى آخر أو من مدينة الى مدينة الا دليل على حيوية هذه اللغة ومرونتها وامكانياتها المتعددة ، ومثل هذا الاختلاف موجود على كل حال فى جميع اللغات ، ولدى جميع الامم •

ولقد صمدت هذه اللغة فى الماضى أمام جميع النكبات التى نكب بها العرب فى تاريخهم ، ولكنها ظلت أمينة على تراثهم ، حافلة بمجدهم وحضارتهم ، وهاهى تصمد فى الوقت الحاضر ، أمام الدعايات المغرضة التى شنها الاستعمار لتفريق شمل العرب وتكذيب أبواقهم الذين نادوا بالفرعونية فى مصر ، وبالفينيقية فى لبنان ، وبالقومية السورية فى سورية ولبنان ، وباقليمية سودانية أو بربرية فى كل ما يقولونه وما ينشرونه ، لانهم لا يستطيعون احياء قومية ماتت واندثرت ، وماتت معها لغتها منذ أمد بعيد ، وذابت فى التيار العربى الكبير ، اذ لا يستطيع أنصار الفرعونية أن يخاطبوا الناس بالفرعونية القديمة ، وأن يكتبوا لهم بالهيروغليفية كما لا يستطيع أنصار الفينيقية والقومية السورية ، أن يتكلموا أو يكتبوا بالفينيقية والسريانية •

واذا كانت اللغة العربية قد أصابتها المحنة كما أصابت العرب ، فانتشرت العامية التى نحتت من الفصحى انتشارا كبيرا بين عامة الناس ، فقد ظلت الفصحى تهيمن بالقرآن والكتب والشعر ، ولم يؤد انتشار العامية الى تكوين لغات متعددة منفصلة ، كما حدث للغة اللاتينية • وقد حفظت اللغة العربية عروبة بعض الاقطار المستعمرة ، كالجزائر وتونس ومراكش رغم سنى الاستعمار الطويلة ، ورغم محاولات المستعمرين الكثيرة للادماج والمزج والفرنسية •

وها هى النهضة الحديثة تساعد اليوم على تطور اللغة العربية

ورقيها فتنتشر الفصحى بانتشار التعليم والكتب والصحف والمجلات والراديو والسينما ، وتتضاءل الفوارق الكبيرة بين اللهجات العامية وتسبق وحدة اللغة والثقافة بين العرب ، وحدتهم الاقتصادية والسياسية .

العامل الرابع : التاريخ :

بعد تاريخ الآباء والاجداد وتراثهم ، من أكبر عوامل الوحدة ودوافعها . فما قامت وحدة فى أمة من الامم ، الا بعد احياء التاريخ الغابر ، واطلاع الحفدة على أمجاد الاجداد التى تثير فى أنفسهم الحساس الكامن، والدوافع الخفية للقيام بأعمال مجيدة مماثلة، فيؤلف ذلك بين قلوبهم ،ويوحد أهدافهم المثلى ، ويزيل اختلافاتهم الصغيرة ، ومثالنا على ذلك الوحدة الايطالية والاتحاد الالماني .

والتاريخ العربى حافل بمثل هذه الامجاد ، والحضارة العربية كانت أساسا متينا من أسس النهضة الاوربية ، وهذا التاريخ يمكن أن يعد بنوع خاص أقدم تاريخ ، لأقدم أمة على وجه الارض ، فقد رأينا أن جزيرة العرب أصبحت موطنا لأقوام تنتمى الى سلالة البحر الابيض المتوسط ، منذ أقدم الازمنة أى منذ نحو ستة آلاف سنة . وقد أطلق على هذه الاقوام اسم « عرب » أو « عريبى » ، ومعناها البدو الرحل . وكانت بعض هذه القبائل العربية تصل فى تنقلاتها الى المناطق المجاورة لشبه الجزيرة العربية ، ذات الاراضى الخصبة والانهار الجارية ، فتستوطنها وتتوغل فيها ، وتبتعد عن موطنها الاصلى ذى الاقليم الشديد والمدى الحيوى المحدود . وقد وصلت بعض هذه القبائل الى مصر منذ دور السلالات الاولى ، ووجدت صور بعض أفرادها على أدوات ترجع الى ما قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ق.م ، وهكذا أصبحت الجزيرة العربية كلما مر الزمن وتزايد

السكان وضاقت بهم سبل العيش تقذف بسكانها الى البلاد المجاورة فحصلت الموجات العربية السامية المختلفة ، فالاكاديون والاشوريون والاموريون البابليون والكنعانيون والفينيقيون والاراميون والانباط والتدمريون والمناذرة والغساسنة ، كانوا من سكان الجزيرة العربية، هاجروا من قلبها على موجات متتالية الى أطرافها ، ثم استقروا فى مصر أو فى المناطق الزراعية الواقعـــة فى الهلال الخصيب أى فى سورية والعراق ، وكانت آخر موجة من هذه الموجات ، موجة العرب المسلمين ، الذين وصلوا فى فتوحاتهم الى الهند والصين شرقا ، والى فرنسا غربا ، واستولوا على سورية والعراق وايران وجزء من الهند وتركستان فى آسيا ، وعلى مصر وليبيا وبلاد المغرب فى أفريقيــا واسبانيا وجزيرة صقلية وجزء من فرنسا وايطاليا فى أوربا ، كما امتد نفوذهم الى أفريقيا الشرقية وجزر الهند الشرقية والهنـــد والصين .

وعلى هذا ، يكون شبه الجزيرة العربية ، أعرب البلاد العربية ، لأنه مهد العرب الساميين ، ولأن العرب لم يختلطوا فيهــا الا قليلا بالامم الاخرى . وتليها فى العروبة سورية والعــراق ، لأن أقدم الموجات العربية السامية طغت عليهما . وقــد جاء الدليل على ذلك حينما أخذ العرب المسلمون يحررون اخوانهم عرب سورية والعراق أثناء الفتح الاسلامى فوجدوا مساعدة كبرى من السكان الأصليين الذين كان يحكمهم الروم والفرس . ومع أنه دخلت الى ســـورية والعراق ، عناصر جديدة أثناء الحكم العربى ، كالاكراد والشركس والاتراك ، بسبب ديموقراطية الاسلام ، فقد استعربت جميع هذه العناصر وذابت فى بوتقة الاسلام والعروبة ، فلم يعمل نور الدين وصلاح الدين لنصرة الاسلام فحسب وانما عمــلا لنصرة العروبة أيضا .

أما فى مصر ، فقد تسرب اليهـــا الساميون العرب ، منذ فجر التـــاريخ ، كما رأينا ، وربما كانت هذه الموجة أولى الموجات التى

خرجت من جـــزيرة العرب وقد اختلط هؤلاء العــرب بالسكان الاصليين ، الذين ينتمون الى سلالة البحر الابيض المتوسط ، وأثروا فيهـــم وتأثروا بهم ، حتى ان اللغـــة المصرية التى كانت تكتب بالهيروغليفية تحتوى على كثير من الكلمات السامية ·

وفى منتصف الألف الثـــانى ، هاجم العرب الهكسوس مصر ، وحكموها أكثر من قرنين وامتزجوا بسكانها فقويت نسبة العنصر السامى العربى فيها · ثم فتح الاشوريون والبابليون والتدمريون مصر ، فازدادت من جديد نسبة العنصر السامى العربى ، فلما جاء الاسلام وفتح العرب مصر توغلت العروبة الى كل قرية والى كل بيت ، وامتزج العـــرب بالسكان امتزاجا كبيرا حتى وصلوا الى الســودان فانتشر الدين الاسلامى واللغــة العربية انتشارا كبيرا ، وتغلبت العادات والتقاليد الاسلامية العربية على كل ما عداها ·

وفى المغرب العــربى كانت أكثرية السكان الاصليين من البربر الذين ينتمون الى سلالة البحر الابيض المتوسط المختلطين ببعض العناصر الشمالية الآرية والافريقية الحامية ، وكان أول اختـــلاط لهم بالعرب حينما أسس الفينيقيون، أثناء تجوالهم فىالبحر الابيض المتوسط ، مراكز تجارية على السواحل المغربية ، فبنوا مدينـــة قرطاجنة المشهورة وهاجر اليها عدد كبير منهم وامتزجوا بالسكان الاصليين على أن العنصر السامى العربى ، لم يؤثر فى بلاد المغرب تأثيرا كبيرا يقلب الاوضاع القديمة رأسا على عقب ، الا بعد الفتح العربى الاسلامى · وقد تغلبت العروبة من جديد فى هذه البـــلاد أيضا ، بعد أن امتزج العرب بالبربر ، وحاربوا معا متآخين فى اسبانيا وفرنسا ، وازدادت عروبتها حينما هاجرت اليها قبـــائل عربية كبرى كبنى هلال ، وبنى سليم ، وازدادت تأصلا بعد جــلاء عرب اسبانيا وهجرتهم اليها ·

هذا هو ملخص تاريخ العرب فى الوطن العربى ، منذ أن خرجوا

من شبه جزيرتهم حوالى سنة ٣٥٠٠ ق٠م حتى انتشار الاسلام ٠ ونحن نلاحظ أن لهذه البلاد تاريخا مشتركا عربيا منذ أقدم العصور، وقد أقام العرب الساميون فى كل قطر سكنوه مدنية راقية حتى أصبحت بلادهم مهد الحضار الإنسانية جمعاء ٠

واذا لم تكن هذه الحقبة القديمة من التاريخ قد خلدت فى الوجدان العربى أثرا كبيرا للبعد السحيق الذى يفصلها عن واقع الجماهير الشعبية ، فقد ظلت آثارها حيــة فى بعض العادات والتقاليــد الاجتماعية التى انتقلت اليها عبر القرون وتوارثتها جيلا بعد جيل ٠

على أن تاريخ العصرين الجاهلى والاسلامى ، ترك أثرا عميقا فى نفوس تلك الجماهير ، ظل حيا حتى هذه الايام ٠

فقد ظلت ذكرى العصر الجاهلى ماثلة فى القصص الشــعبية العربية ، كقصـــة عنترة والملك سيف بن ذى يزن ٠٠٠ وغيرها فتناقلتها الاجيـــال وخلدت عصرها ، كما خلدته أشــعار العرب وحكمهم ٠

فلما جاء الاسلام ، قضى على العصبية القبلية ، ووحد بين مختلف القبائل العربية وأصبح الدين الجديد دين الدولة الجديد ، ورسالته رسالتها ، فتكونت من ذلك طاقة جبارة ، نشرت المثل الاعلى الجديد، فى كثير من أنحاء العالم ، فقد اتجهت تلك الطاقة نحو البلاد التى كان سواد سكانها من العرب الساميين ، كالعراق وسورية ومصر ، فأنقذتها وحررتها ، ثم اجتازت تلك الحدود ، الى بلاد أخرى تربطها بالعرب صلات الاخوة والقرابة ، كشمالى افريقية ، فضمتها اليها ٠ والى بلاد لا تربطها بالعرب الا روابط الجوار الجديد، فألحقتها بالدولة الجديدة ، ولكن هذه البـــلاد ، كبلاد فارس وتركستان والهنـــد والافغان واسبانيا ٠٠٠ وغيرها ، التى انتشر الاسلام فيها واختلط العرب بأهلها ، لم تصبح عربية فى قوميتها ولغتها ، رغم أنها ظلت تابعة للعرب قرونا طويلة ، لان سكانها الاصليين ، لم يكونوا من

العرب الساميين ، أو ممن تربطهم بالعرب صلات الاخوة والقرابة ، فلم يستعربوا وظلوا محافظين على أصلهم رغم اسلامهم ورغم تمازجهم بالعرب ٠

وكانت ديموقراطية العرب المسلمين ومبدأ المساواة التـــامة الحقيقية هما المثل الاعلى الذى لم يكن ولن يكون له نظير فى تاريخ العالم ، عاملا أساسيا فى جمع الكلمة ، وتوحيد القلوب وتآلفها ، وانتشار الدين الجديد والروحية الجديدة والعقلية الجديدة انتشارا لم يذكر التاريخ له مثيلا ٠

وهكذا تأثرت ثقافة العالم وحضارته بالاسلام والعروبة، واتجهت وجهة جديدة جمعت خلاصة الحضارات العربية السابقة وحضارات الامم الاخرى اليونانية ، والرومانية ، والبيزنطية ، والفارسية ، والهندية ، وصبغتها بصبغة جديدة ، جمعت بين روح الاســلام الانسانية الاممية وبين عقلية العرب القومية ٠

وقد ظل تاريخ الاسلام حيا فى أذهان العرب ، لان الاسلام مازال حتى اليوم ماثلا فى كل جزء من أجزاء حيـــاة العرب والمسلمين : فالقرآن الذى تتردد آياته كل يوم وسيرة الرسول وأحاديثه وتاريخ الخلفاء والفتوحات والمساجد القائمة والمآذن التى تشرئب بهاماتها نحو السماء والآثار الفنية والعلوم والآداب ، كل ذلك من أهم دواعى وحدة العرب ، المسلمين منهم وغير المسلمين ، لأن هـــذه الأشياء تمثل التراث المشترك منذ ألف وأربعمائة سنة تقريبا ، فكيف لا يكون التاريخ المشترك الذى يحرص عليه العرب كل الحرص عاملا أساسيا للوحدة فيما بينهم ؟

لقد ظلت الدولة العربية الاسلامية موحدة فى دولة واحدة طوال عهد الخلفاء الراشدين والامويين ، وبدأ انفصال بعض الاقطار النائية عن جسم الدولة فى عهد العباسيين كالاندلس ، التى أسست فيها

دولة الامويين الثانية ولكن البلاد العربية الاصلية ظلت تابعة لخليفة واحد ، حتى ظهر الفاطميون فانفصلت مصر مؤقتا عن جسم الدولة العربية العباسية ، لتعود اليها بعد زوال حكمهم • ولم تكن الدويلات التى انفصلت في عهود الضعف تستقل الا استقلالا داخليا ، لأنها ظلت تابعة للخليفة العباسى فى بغداد ، وهكذا بقى تاريخ البلاد العربية ومصيرها واحدا تقريبا حتى العهد العثمانى ، فخضعت جميعها للحكم الجديد ، أى أن مصيرها ظل واحدا أيضا ، حتى فى أيام المحنة • ولما زال هذا الحكم خضعت كلها للاستعمار ، وان اختلفت أسماؤها وأسماء المستعمرين • فقسموا هذه البلاد ، بعد أن ظل مصيرها موحدا قرونا طويلة ؛ وأذكوا فى نفوس بعض أفرادها روح التفرقة ، وفى نفوس بعض رؤسائها وملوكها روح التنافس ، فانشغل كل قطر بمشاكله الخاصة ، وعاد لا يفكر فى أجزاء الوطن الواحد الاخرى الا لماما •

ولكن النهضة العربية الحديثة ، التى تشب اليوم رغم جميع ما يبذله الاستعمار لمقاومتها والقضاء عليها ، ستكون كفيلة باعادة الوضع الى ما كان عليه ليعود العرب الى استرجاع مكانتهم السامية تحت الشمس •

العامل الخامس : الدين :

لقد بينا أثر الاسلام فى توحيد العرب وتآلفهم ، والاسلام دين الاغلبية العظمى من سكان البلاد العربية ، فهو عامل هام من عوامل وحدتهم رغم أن الامم الحديثة أصبحت لا تؤسس كيانها على أساس دينى بحت • ذلك أن الاسلام لم يكن دين الاغلبية فحسب ، بل صبغ الحياة الاجتماعية فى البلاد العربية بصبغة خاصة عمت المسلمين وغير المسلمين ، ولم يقتصر تأثيره على الناحية الدينية ، بل جمع الى جانبها الحضارة العربية والمجتمع العربى والتاريخ العربى والعقلية العربية •

على أن سكان البلاد العربية ، التى كانت مهد الاديان يتميزون بروحهم الدينية السامية وبالتسامح والتساهل ، لأن المثل العليا الدينية التى خرجت من أرضهم وأخذها البشر عنهم وكانوا رسلها الاوائل تهدف الى غايات واحدة ، هى احلال روح الاخوة والمحبة والمساواة والسلام بين أفراد البشر ، ولا شك أن سكان هذه البلاد العربية الذين يعيشون فى الارض التى تنبت فيها هذه المبادىء العليا ، يفهمونها ويعملون بها بتسامح كبير ، وان اختلفت طرائقهم وطقوسهم الدينية ، لأن الهدف واحد والمبادىء واحدة ٠

على أن الاجنبى المستعمر أراد استغلال اختلاف الاديان لبث بذور التفرقة واحلال التنافر والخصام محل المودة والاخوة والوئام ، ولكن الاديان نفسها فى روحها الحقيقية العميقة تقف فى وجه هذه المحاولات لان مبادئها توصى بالتحابب والتآلف والتسامح بين جميع بنى البشر ، فكيف بين الاخوان الاقربين ؟ فهى عند من يفهمها على حقيقتها عامل تقارب وتوحيد ، لا عامل تباغض وتفريق ٠

العامل السادس : العقلية والتقاليد الاجتماعية :

نقصد بهذا العامل تشابه العرب فى النظرة العامة لامور الحياة ، وفى أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم التى ورثوها عن تاريخهم المشترك وعن دياناتهم ٠ وهذا العامل يتساوى فيه المسلمون وغير المسلمون٠ فالعرب فى جميع أقطارهم مهما كان الدين الذى يدينون به ورغم اختلاط بعضهم بالامم الاخرى ينظرون الى الحياة والانسان بمنظار واحد ، قد يرى فيه كل فرد صور الحياة والناس مختلفة ، ولكن عقليته بالنسبة الى بعض التقاليد الاجتماعية تبقى واحدة ، فنظرة العربى الى المرأة والشرف والشهامة والمروءة والوفاء والكرم والاخذ بالثأر واحدة ٠ وهذه النظرة مستمدة من روح عميقة ناتجة عن تشابه البيئة الجغرافية والحياة القبلية القديمة ٠ ومع أن هذه الحياة

القبلية قد زالت الا قليلا ، فان تأثيراتها الاجتماعية ما زالت ثابتة يتوارثها الناس جيلا بعد جيل .

ومما يوحد العقلية والتقاليد الاجتماعية بين البلاد العربية ، انتشار الكتب والصحف والمجلات بلغة واحدة يفهمها الجميع ،كذلك يجب ألا ننكر أثر الراديو والسينما فى هذا السبيل .

العامل السابع : المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة :

ساهم بعض رجال السياسة وبعض الكتاب فى تكوين أمل واحد عند جماهير الشعب العربى هو التخلص من الاستعمار والاستثمار الاجنبى ، وتكوين دولة محترمة موحدة تضم سبعين مليونا من العرب ، لان الدول الصغرى لا يؤبه لها فى هذا العصر الذى تتكتل فيه القوى والدول المختلفة فى قوميتها المتفقة فى مصالحها ، ولا تستطيع أن تلعب أى دور سياسى ، كما تكون عرضة لضغط الدول الكبرى السياسى والاقتصادى والعسكرى . ورغم التجزئة التى يستغلها الاستعمار لمنفعته ، ويساهم فيها بعض ذوى المنافع الخاصة فان القسم الاكبر من سكان الوطن العربى يرغبون فى هذه الوحدة لاسباب سياسية واقتصادية أيضا .

فالبلاد العربية يكمل بعضها بعضا اقتصاديا ، ومن الممكن عند استغلال ثروتها الطبيعية وامكانياتها الصناعية،والزراعية،والتجارية استغلالا كاملا ، أن تصل الى درجة كبيرة من الغنى والرفاهية ، حيث يصبح مستوى المعيشة فيها لا يقل عن مستوى المعيشة فى أغنى دول العالم، فهى تحتوى على البترول والمعادن المختلفة،ويجرى فى أرضها ثلاثة أنهار من أكبر أنهار العالم ، عدا الانهار الصغيرة الكثيرة ، كما أن أراضيها الزراعية تستطيع أن تنتج جميع المحصولات ، لاحتوائها على مناخ متنوع متكامل ، وأراض فيها الجبل وفيها السهل ، وفيها الصحراء ، وأخيرا لانها تقع فى ملتقى القارات الثلاث وفى مركز

اتصال الشرق بالغرب ، ولهذا فان الوحدة الاقتصـــادية لا بد أن تسبق الوحدة السياسية لتمهد لها الطريق ، وليشعر كل فــرد بصورة عملية بفوائد هذه الوحدة المادية والمعنوية ٠

ان آلام الفقر والمرض والجهل ، التى يسببها الاستعمار ، واحدة فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، وآمالها واحدة أيضا ، تنحصر فى هدف أسمى هو التخلص من هذا الاستعمار ، ومن جميع ألوان السيطرة الاجنبية الســــافرة والمستترة ، وجمع العرب فى دولة موحدة ، تستطيع أن تعيد مجدهم ، وتحقق مثلهم العليا ، وتحول ثروة بلادهم من أيدى المغتصبين ، الى أيدى المواطنين ، حتى يتمكنوا من القضاء على العدو الداخلى المتمثل فى الآفات الثلاث التى تفتك بهم ٠

ان آلام الشعب العربى ، وآماله الموحدة ، ومصالحه المشـــتركة وشعوره بضرورة العيش فى وطن واحد هى من أكبر أسباب بعث النهضة الحديثة التى ستعمل على تحقيق الوحدة العربية ٠

الفصل الثانى

الحياد الايجابى .. وعدم الانحياز

اذا كانت القومية العربية فى فلسفتها هى الرباط الروحى الاول للجمهورية العربية المتحدة ، فهناك رباط آخر دفع الشعب العربى فى الاقليمين نحو الوحدة · وليس هذا الرباط فى مفهومه السياسى شعورا بالحنين الى الماضى ، وأنما مبعثه الحقيقى هو ادراك الشعب العربى لعمق الجريمة التى ارتكبها الاستعمار فى حق العرب جميعا، وهذه الجريمة لها قسمان :

الاول : تحطيم معنويات الشعب العربى ، واستغلال موارده ، وفرض السيطرة على أبنائه ، وهذا ما يزال حتى الآن يرتكب فى الجزائر وفى أماكن متعددة من أجزاء الوطن العربى فى جنوب شبه الجزيرة العربية ، وفى بعض البلاد المستقلة اسما ، الخاضعة للاستعمار فعلا ·

ثانيا : اسرائيل ، التى زرعها الاستعمار الانجلو أمريكى فى قلب الوطن العربى خلال فترة من فترات الانتكاس فى تاريخ الأمة العربية ·

واذا كان التاريخ لا يخدع ولا يكذب ، فانه يضع هاتين الحقيقتين فوق رءوس أنصار المعسكر الاستعمارى الغربى من فلول المتزعمين لبعض بلاد الامة العربية ·

ان حقائق التاريخ لن تنكر الوقائع المادية الملموسة التى تقول :

١ - ان فرنسا تقتل أطفال العرب ونساءهم فى الجزائر ، وتسفك دماء المجاهدين من أبناء الامة العربية فى هذا القسم العربى المكافح .

٢ - ان بريطانيا تضع يدها قوة واغتصابا فى البوريمى الواحة العربية التى تقع فى الارض التى قدسها الله وجعلها مبعث رسالة نبيه محمد عليه السلام .

٣ - ان بريطانيا تستعمر عدن والمحميات العربية فى جنوب الجزيرة العربية التى تعتبر مهد الجنس العربى ، ومطلع رسالة الاسلام .

٤ - ان بريطانيا تستعمر عمان العربية وتسلط جنودها على العرب المجاهدين هناك .

٥ - ان بريطانيا تفرض سيطرتها ونفوذها على قطر والبحرين ، وتنهب البترول بقوة السلاح من الشعب العربى هناك .

٦ - ان فرنسا لا زالت تقتل أبناء الامة العربية فى تونس رغم استقلالها .

٧ - ان الاحتكارية الامريكية البريطانية تسيطر على بترول العرب فى كافة منابعه .

٨ - ان ما لقيته الامة العربية من الاستعمار الغربى منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى الآن ، لا يقاس بفظائع الاستعمار التركى الذى كافحه العرب كفاحا مريرا قبل الحرب العالمية الاولى .

وهذه الوقائع المادية التى يذكرها التاريخ دفعت الشعب العربى الى النضال ، وأرغمت حكامه خلال فترات متفاوتة على مسايرته فى الظاهر ، والحقيقة انهم كانوا يخدعونه فى الباطن ، ولا زال كثيرون منهم يخدعونه حتى الآن لتحقيق أطماعهم الشخصية ، فى نزواتهم الفردية .

وليس هناك من ينكر اخلاص الشعب العربى لفـــكرة القومية العربية ، وتمسكه بها ، واصراره عليهــــا ، وقد نشرت جـــريدة « البوبلو » الايطالية خبرا قالت فيه :

« ان الكويت تلقت أنباء الوحدة السورية المصرية باغتباط بالغ ، واستبشار جذل ، فشقت المظاهرات الابتهاجيـــة الطرقات تهتف لمصر وسورية ، وساهمت فيها السلطات المختصة ، وأعلن الشعب اللبنانى تأييده للوحدة ، وسارت مواكب الشعب السودانى تهتف بحياة القومية العربية » .

وحدث مثل ذلك فى مراكش وليبيا والعراق .

واذا درسنا آثار قيام الجمهورية الجديدة في السياسة العالميـــة توصلنا الى النتائج التالية :

أولا — أن هذه الخطوة لها آثار سياسية كبرى فى الشرق الاوسط بصفة خاصة ، لان الوحدة العمليـــة جعلت امكان تحقيق الأهداف العربية ميسرا ، بعد أن كان بعض الناس ينظرون اليها نظرة خوف وشك .

ثانيا — أن الجيل الجديد من العرب وأقصد بهم الشباب تأكد من تحقيق أهدافه التى يتحمس لها ، ويدافع عنها ، أما بعض الساسة القدماء فقد أصابهم الذعر خوفا من ضياع ما بأيديهم .

ثالثا — ان السياسة العالمية بدأت تبحث عن اتجاهات الجمهورية الجديدة فى سياستها الخارجية . وهل هى الحياد الايجابى أم شيء آخر ؟!

رابعا — اتجهت بعض الأبحاث الى الناحية الاستراتيجية للدولة الجديدة ، فأعداء الوحدة العربية يزعمون أنه لا يمكن لأحد البلدين أن يدافع عن الآخر . ولا يعللون أســـباب ذلك ، والمحققون من الباحثين يقولون ان الوحدة غيرت الموقف العسكرى وأصبح يتجه الى الاستقرار . وقد قضت وحدة الجيشين كجزء من وحدة البلدين

على امكانية استخدام جيش اسرائيلى فى أى عمل عدوانى ضـــد البلاد العربية ، وكما ان الموقف الدولى أصبح يحول دون استخدام تركيا فقد أصبحت وحدة سورية ومصر تمنع استخدام اسرائيل •

خامسا ـ ان السياسة الخارجية للدولة الجديدة أصبحت أكثر وضوحا مما كانت ، وان كانت قد قامت فى كلا الاقليمين على أسس واحدة هى الحياد الايجابى وعدم الانحياز الى أية كتلة من الكتلتين •

* * *

وخلاصة هذه النظرات أن المبادىء السياسية التى تكون الاتجاه الفكرى والشعورى لكلا الاقليمين تتفق اتفاقا تاما من ناحيتين :

أولاهما : ادراك الشعب العربى لحقيقة الجريمة الاستعمارية التى ارتكبها ولا زال يرتكبها المعسكر الغربى ضد العرب •

وثانيتهما : تبلور الاتجاهات السياسية فى منطقـــة الشرق الاوسط تبلورا حتم التقاء المصالح العليا للشعب العربى داخل نطاق سياسة واحـــدة نابعة من تفـكيره وايمانه ، وهذه السـياسة هى ما نطلق عليه : **الحياد الايجابى وعدم الانحياز لأى كتلة من الكتلتين**

وهذه السياسة يحتمها الواقع المـــادى والمعنوى للعرب ، فان الشعب العربى الذى يقيم فى منطقة تمتد من الخليج العربى حتى المحيط الاطلسى يتحتم عليه بحكم وضعه الجغرافى أن يكون مستقلا فى سياسته ، بعيدا عن الصراع القـــائم بين الكتلتين الشرقيـــة والغربية ، وانضمامه الى أى الكتلتين ليس الا محاولة يائســـة لافتائه وازالة شخصيته الموقعية التى تفصل بين الشرق والغرب ، وتحتل موقعا جغرافيا فريدا وسط العالم •

وهناك ناحية أخرى تحتم سلوك الحياد الايجابى ، وهى ناحيـــة مذهبية خالصة • فان سياسة الكتلة الشرقيـــة تقوم على مبادىء الماركسية كما تقوم مبادىء الكتلة الغربية على الرأسمالية • وليس بين جماهير الشـــعب العربى من يؤمن بالماركســـية الشرقية أو الرأسمالية الغربية ، لان حياتنا العربية لها مبادىء ومثل عريقة ،

تعتمد على ما نسميه بالفلسفة العربية ، وهذه الفلسفة تكونت خلال أجيال طويلة تبلورت فيها الشخصية العربية بمقوماتها البارزة ، وهذه المقومات تأبى الخضوع للمذاهب المستوردة ، وقد أثبت التطور التاريخى للشعب العربى أنه لا يخضع للمذاهب الدخيلة بل يطردها من كيانه ، ويطرد أصحابها أيضا حتى فى حالة التمازج معهم ، وقد استطاع هذا الشعب ابعاد المذاهب الفارسية ابعادا كاملا من حياته وظل مؤمنا بقيمه ومثله العليا ، وطرد الفرس أنفسهم بعد أن ظلوا على فارسيتهم وأبوا أن يستعربوا ٠

ولذلك فان هذا الشعب يأبى دائما الخضوع للأفكار والمذاهب الاجتماعية والسياسية الدخيلة ، مما يحتم اعتناقه فى العصر الحاضر لسياسة الحياد الايجابى وعدم الانحياز تمسكا بشخصيته ومقوماته٠

وهناك ناحية ثالثة يجب أن نلتفت اليها ، وهى أن الشعب العربى عانى من الاستعمار طويلا ، وليس من الممكن أن يسلم قياده لقوة مهما كانت صفتها ومهما تسترت تحت ستارات الحرية أو الرغبة فى الصداقة أو الدعوة الى معاونة الشعوب المتخلفة وما الى ذلك من دعوات منحرفة تهدف الى الاستمرار فى استعمار أجزاء من الوطن العربى ٠

والشعب العربى الذى قاد حضارة البشرية خلال العصور الوسطى عندما كانت أوربا تعيش فى الظلام لا يقبل على نفسه وعلى كرامته وشرفه أن يوصم بالتخلف ، وهو سائر فى مرحلة نهوضه وانطلاقه لبناء حضارة جديدة للعالم ٠ ولذلك أصبحت سياسة الحياد الايجابى سياسة عملية لكل مواطن عربى لأن كل مواطن يعرف أن هدف الاستعمار هو امتصاص دماء الشعوب ، واستنزاف خيراتها ٠

والحياة العملية للمواطن العربى تحتم تمتعه بخيرات وطنه والابقاء على هذه الخيرات داخل نطاق الوطن العربى لاسعاد أبنائه ، وبذلك

تصبح سياسة الحياد الايجابى سياسة عملية لكل مواطن لأنهـــا تحرص على عدم التفريط فى خيراتنا ، والحرص على اقتصـــادياتنا وتنمية مواردنا ، والعمل على أسعاد شعبنا • وهـــذا كله لن يتم ما دامت هناك أحلاف تربط بعض أجزاء الوطن العـــربى بعجلات الاستعمار والاحتكارية الرأسمالية ، وما دام هناك ســـاسة يلقون بأنفسهم تحت أقدام مشروع ايزنهاور أو غيره من المشروعات التى تريد جعل أقســـام من الوطن العربى مناطق نفوذ للاحتـــكارية الرأسمالية •

ان دعاة الانضمام الى معسكر من المعسكرين ضعفاء ، هازلون ، لا يجرى فى عروقهم دم عربى ، وليس فى الامكان ارغام الشـــعب العربى ، وهو شعب أهم سماته وميزاته القوة والصـــلابة ، على الاذعان لمعسكر قوى مهما بلغت قوة هذا المعسكر • كما أن وسائل الترغيب والتهديد واصطناع المؤامرات ليست من الوسائل التى يرضى بها الشرف العربى •

وقد أوضح الرئيس جمال عبد الناصر هذه الحقيقة السياســـية الكبيرة فى حيـــاة الشعب العربى عندما ألقى خطابه التاريخى فى بورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٧ ، فقال :

« بهذه الروح وبعون الله استطعنا أن ننتصر وكان لهذا الانتصار نتائج كبيرة ستبقى على مر الزمن وستبقى على الايام •

استطعنا أن نثبت الاستقلال الذى حصلنا عليه •

استطعنا أن نبين للعالم أن سياسة الحياد الايجابى ســـياسة سليمة • وقد انتصرت هذه السياسة وساعدتنا فى هزيمة الدول الكبرى •• ساعدتنا فى تجميع الرأى العام العالمى معنا •

انتصرت القومية العربية ، وكانت بورســـعيد أول تجربة فى تدخلهـــا القومية العربيـــة ، واشـــترك العرب كلهم فى معركة بورسعيد ، فى كل مكان •• كان العرب يتنادون للقتال ،

وفى كل مكان كان العرب يهددون مصالح المعتدين ومصالح المستعمرين ، اتسع ميدان القتال فأصبح ليس بورسعيد فقط ولكن أصبح البلاد العربية كلها » .

وفى هذا الخطاب شرح الرئيس عبد الناصر أهداف سياسة عدم الانحياز ، فقال :

« ان مصر ، رغم ما قاسيناه ، تتبع سياسة عدم الانحياز ، سياسة الحياد الايجابى ، لكى توسع معسكر السلام ، لأن العالم اذا انقسم الى معسكرين ، وأصبحت دول العالم منقسمة ... جزء منها مع هذا المعسكر وجزء مع المعسكر الآخر .. لا بد أن تقوم حرب ، ولا بد أن تقاسى البشرية الاهوال .

اليوم ونحن ننادى بالحياد الايجابى ، وننادى بعدم الانحياز ، انما نعمل على كسر حدة التوتر ، وانما نعمل على ابعاد شبح الحرب ، وانما نعمل على تثبيت السلام ، وعلى دعم السلام » .

ولذلك أصبحت سياسة الحياد الايجابى ذات أثرين بالغين فى التطور السياسى الحديث .

الاثر الاول ـ تحرير الوطن العربى من الضغط الاستعمارى بكافة صوره .

الاثر الثانى ـ العمل على تثبيت السلام ودعمه فى العالم .

وعلى هدى هذه النظرة يمكن أن نقول أن العرب فى كفاحهم الحاضر يقومون برسالة كبرى نحو الجنس العربى الذى يسعى نحو التحرر الكامل ، ونحو البشرية كلها التى تفتقد عنصر السلام فى حياتها المضطربة .

وهذه السياسة الجديدة ليست الا انبعاثا واقعيا للقومية العربية الصاعدة ، وترجمة حقيقية للتفكير العربى الحر .

وقد قلت من قبل أن ما حدث فى بورسعيد سنة ١٩٥٦ ، أوشك أن يحدث فى سوريا عام ١٩٥٧ ، لان المعسكر الاستعمارى لا يريد البعد عن السيطرة وخلق مناطق النفوذ .

وهذا الذى حدث وقع فعلا فى تونس التى هاجمتها قوات فرنسا عندما بدأ الشعب التونسى العربى يرفع رأسه مع اخوانه العرب .

والعجيب أن بعض ساسة العرب لا زالوا يعيشون بالعقلية التى علمهم اياها الاستعمار ... عقلية المهادنات والاتفاقيات والمعاهدات، ولم يدركوا أنهم لن يصلوا الى الحرية الا بقوة الشعب العربى نفسه .

واذا كنا قد فصلنا أهداف سياسة الحياد الايجابى فى بعض اتجاهاتها ، فاننا نقرر الواقع الذى يذكره التاريخ حين نقول أن سورية ومصر قد سارتا معا على هدى هذه السياسة ، حتى أصبح هذا الاتجاه من مقومات الحياة الروحية فى مفهومها الفكرى والشعورى عند ملايين المواطنين فى الجمهورية العربية المتحدة .

التخطيط المستقبلي

في حياة كل أمة ثلاث فترات : الماضي والحاضر والمستقبل .

والأمة العربية بوضعها الجغرافي الممتد من المحيط الاطلسي الى الخليج العربي عاشت هذه الفترات فكان ماضيها متماسكا قويا في بعض الأحيان ، وكان مفككا واهنا في أحيان أخرى . ثم أصبح حاضرها متبلورا منطلقا بعد معارك كفاحية دامية أدت الى استقلال بعض أجزائها ، وستؤدي حتما الى استقلال الاجزاء الاخرى التي لا زالت تكافح الاستعمار .

ومن هذا الحاضر المتبلور المنطلق انبثقت أضواء المستقبل ممثلة في الفكرة الكبرى التي تصور حياتنا وتجسمها وترسم خطوطها المتكاملة ، وهذه الفكرة هي : **القومية العربية** .

والقومية العربية فلسفة تطورية مستقبلية متحركة .

ومعنى التطور أن قوميتنا العربية لا تقف عند أفكار ماضية غابرة تتغنى بها ، ولكنها تسير دائما مع ناموس الحياة الذي يحتم النمو لكل كائن .

ومعنى المستقبلية اننا نتطلع دائما الى الغد ، ولا نتعلق بالامس ، وهدفنا أن نكون دائما منطلقين قادرين على السير ، تاركين من خلفنا أولئك الامسيين الجامدين الذين عاشوا حياتهم في كنف الرجعية والاستعمار حتى باتوا أذنابا لا يرجى منهم خير .

ومعنى الحركة أن نربط التطورية والمستقبلية في عجلة الحياة الدائبة ، ليصبح عندنا كائن جديد سماته النمو والاشراق مربوطين بالحركة والانطلاق .

وهذه الفلسفة حتمت شيئين متناقضين هما : الانفصال والاتصال .

أما الانفصال فهو خروج بلادنا من نطاق العالم الاستعمارى عن طريق الحركات الاستقلالية الكفاحية .

وأما الاتصال فهو ربط بلادنا بالعالم كله عن طريق السياسة الاستقلالية التى تركزت فى الحياد الايجابى وعدم الانحياز لأى كتلة من الكتلتين العالميتين .

وبهذه المبادىء التقى الاقليمان العربيان سورية ومصر فى جمهورية عربية متحدة ، وكان التوقيت الرسمى لاعلان التوافق عملا قانونيا شكليا لأن الواقع التاريخى حتم الالتقاء ولم تكن محاولات الاستعمار فى هجومه الغادر على بورسعيد فى عام ١٩٥٦ وفى شروعه فى الهجوم على حلب فى عام ١٩٥٧ الا دفاع المستميت عن كيانه المتهدم وسلطانه الزائل فقد أدرك الاستعماريون أن القومية العربيه فى نهوضها تمثل مرحلة تاريخية تطورية مستقبلية . وان هذه المرحلة ستؤدى الى توحيد الامة العربية ثم أدركوا أن تلاقى سورية ومصر على المبادىء التى تفلسف القومية العربية أمر مؤكد ، ولذلك حاولوا تحطيم الاقليمين العربيين ولسنا ننسى كلمة وزير خارجية فرنسا عندما شن هجومه الغادر على بورسعيد اذ قال لأصحابه من الاستعماريين :

– ان الخطر فى الشرق الاوسط ليس الشيوعية كما تقولون .. ولكنه القومية العربية .

ولست أريد تحليل المراحل التاريخية لقيام الجمهورية العربية المتحدة ، فهذا أمر عرفه كل عربى وأدركه وعاش به ومعه ولكننى أريد أن أنظر الى الغد ... أو الى التخطيط المستقبلى للدولة العربية المتحدة .

ان النقاط الرئيسية لبيان هـــذا التخطيط واضحة فى خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذى ألقاه فى مجلس الامة العربى المصرى يوم ٥ فبراير الحالى .

وهذه النقاط هى :

١ ـ قيام دولة كبرى فى الشرق الاوسط .

٢ ـ هذه الدولة منبثقة من الكيان العربى وليست دخيلة فيه .

٣ ـ هذه الدولة مبادئها :

الحماية ، والصيانة ، والتقوية ، وتوحيد الشمل ، ومسالمة من يسالم العرب ، وعدم التحزب والتعصب والانحراف ، وعدم الانحياز فى سياستها والعمل على تدعيم السلام .

وداخل هذا النطاق نستطيع تفسير المبادىء الجديدة للجمهورية العربية المتحدة .

أولا ـ قيام دولة كبرى فى الشرق الاوسط .

قبل أيام كانت المعسكرات الاستعمارية الغربية تزعم أن تركيا هى أكبر دولة فى الشرق الاوسط . وتستند فى ذلك الى أن تركيا تملك نصف مليون جندى . ولم يكن يهم الاســـتعمار أن يناقش امكانيات الدولة التركية وخزائنها الخالية الفـارغة ، لأن الدولار يستطيع أن ينفق على النصف مليون جندى تركى .

وعلى هذا الاســاس كانت تركيا القوية بجيشها تهدد ســوريا الضعيفة بجيشها .. ولنترك مساندة أمريكا لتركيا فى محاولتها الفاشلة .

المهم أن تركيا أصبحت بعد قيام الجمهورية الجديدة أضعف كثيرا من جمهوريتنا العربية المتحدة لأسباب كثيرة :

١ ـ عدد سكان الجمهورية العربية أكثر من عدد سكان تركيا ·

٢ ـ امكانية تجنيد جيش عربي أوفر لجمهوريتنا من الجمهورية التركية ·

٣ ـ مواردنا الاقتصادية أضعاف موارد الجمهورية التركية ·

٤ ـ اعتماد جمهوريتنا على نفسها لا على سند خارجي يضع حدا لمحاولات تركيا الهجومية العدوانية ·

٥ ـ امكانيات الدولة الجديدة من النواحي العلمية والثقافية أعظم من امكانيات الجمهورية التركية ·

واذا تركنا هذه المقارنة وحللنا الموقف من جانبنا لأدركنا للوهلة الاولى أن جمهورية سورية التي وصلت الى استقلالها الكامل لم يكن في امكانها المحافظة على هذا الاستقلال وحدها ·

وكذلك الشأن بالنسبة لمصر المستقلة · ولكن عندما قامت الوحدة أصبحت الدولة الجديدة قادرة على المحافظة على الاستقلال الذي بذل فيه آباؤنا وأجدادنا دماءهم الغالية ·

ولم يكن في الامكان التطلع الى المستقبل المستقل الحر الا عن طريق قيام الجمهورية الجديدة ·

والاستقلال في ذاته ليس هدفا أو غاية ولكن الهدف هو المحافظة على الاستقلال ، ولذلك التقت سورية ومصر ليسير الوطن الواحد نحو مستقبله مطمئنا الى قوته وقدرته قادرا على بناء حياة أفضل لشعبه ·

وأصبح قيام الدولة الكبرى تحولا خطيرا في سياسة العالم لأن منطقة الشرق الاوسط تعتبر من أهم المناطق الحساسة في تطور السياسة العالمية ، وهذا التحول في سياسة العالم سيغير اتجاهات السياسة الغربية التي بنيت على أساس التفرقة بين أبناء الأمة

العربية وبذر بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد وقد قال بوقمن أبواق المعسكرات الاستعمارية ان قيام الدولة الجديدة معناه زوال احداهما ولم يدرك وهو عربي للاسف ... ان توحيد الاخوة لا يعني ابادة الاسرة بل يعني استعادة قوتها ، وان تفرق الاخوة معناه تفريق شملها وتشتيت تجمعها وازالتها من الوجود .

ان هدف الاستعماريين هو ازالة العروبة من الوجود وابادة القومية العربية ، ولا زال بيننا في بعض أقطار العرب دعاة للتفرقة، وزعماء لسياسة (فرق تسد) وهؤلاء يضجرهم ويضجر سادتهم أن يتوحد العرب .

وهناك تحول آخر سيحدث في تيار السياسة العالمية ، وهو تيار الصهيونية العالمية ، فان هذه الصهيونية ستغير طريقها الذى سلكته منذ قيام اسرائيل بعد أن أصبحت على حدود الدولة المزعومة شمالا وجنوبا دولة واحدة ، ولم تظهر حتى الآن تحولات سياسة الصهيونية العالمية ولكنها ستتحول حتما ، وسيكون تحولها بداية النهاية للدولة المزعومة اسرائيل .

ثانيا ـ دولة منبثقة من الكيان العربي :

والحقيقة الثانية في مستقبلية التخطيط ، ان جمهوريتنا الجديدة تحقيق عملي لفلسفة القومية العربية وقد كانت التهمة الدائمة التي توجه للعرب انهم قوم قوالون لا يفعلون شيئا بل ان بعض الادعياء كانوا يزعمون ان القومية العربية كلام في الهواء .

ولذلك أصبح قيام الجمهورية العربية المتحدة عملا ايجابيا للقومية العربية .

أما انبثاقها من الكيان العربي نفسه فانه يحمل معنى آخر هو أن الشعب العربي لا يغتصب أرض أحد ولا يستعمر بلد أحد ولا يهدف

الى السيطرة على شعب آخر ولكن هدفه تجميع كيانه واسترداد قوته واستعادة تكتله ٠

وقد شرح الرئيس جمال عبد الناصر هذه الحقيقة فى كلمات موجزة عندما قال ان هذه الدولة ليست دخيلة ولا غاصبة ، ليست عادية ولا مستعدية ٠

ثالثا — مبادىء الدولة الجديدة ٠

والحقيقة الثالثة أن هذه الدولة لها مبادىء مرسومة ٠ وخطة للمستقبل واضحة ، وهذه المبادىء هى :

١ — حماية العرب قدر طاقتها وجهدها ، وصيانة الجنس العربى ، والعمل فى اخلاص على توحيد شمله وجمع كلمته ولذلك فانها تسالم من يسالم العرب وتعادى من يعاديهم وتستمد هذا المبدأ من جوهر الفلسفة العربية التى تقول : انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، وبذلك أصبحت هذه الدولة قوة جديدة للعرب تحميهم وتذود عنهم وتنصر مظلومهم برفع الظلم عنه وتنصر ظالمهم بصرفه عن ظلمه ، وهذا المبدأ يؤكد الفلسفة العملية للقومية العربية ، لأن هذه الفلسفة ليست كلاما ولكنها عمل والعمل الاول لها هو صيانة الجنس العربى وحمايته ، ولذلك تسير الدولة على مبادىء المدافعة عن الشعوب العربية التى يسيطر عليها الاستعمار ويحاول صرفها عن جهادها الحقيقى فى سبيل الحضارة والحرية والسلام ٠

كما انها تقاوم أولئك الذين يسفكون دماء الشعب العربى فى الجزائر وفى عمان وفى المحميات وتسعى دائما الى تحرير العرب باعتبارها الدولة الكبرى المنبثقة من كيانهم ٠

٢ — البعد عن التحزب والتعصب والانحراف ، وذلك لأنها دولة مبادىء ومثل عليا ، وهى تتمثل دائما حقيقتها العربية التى

تتلخص فى كلمة (الشرف) والشرف العربى يدعونا دائما الى سلوك الطريق السوى فى سياستنا ، فنحن لا نتحزب ضد أحد ، ولا نتعصب ضد مذهب ، ولا ننحرف الى غاية مرذولة ٠

٣ ـ عدم الانحياز فى السياسة :

وهذا هو مبدأ الدولة السياسى فهى دولة حياد ايجابى لا تميل الى الشرق ولا تميل الى الغرب ، ولكنها تصادق من يمد لها يد الصداقة بشرط الاحترام المتبادل ، وعدم الخضوع لأى سلطان ٠

وقد تأكد هذا المبدأ عن سورية ومصر قبل قيام الجمهورية الجديدة وسيزداد تأكيدا بعد قيامها ، لأن هذا المبدأ هو حجر الاساس فى سياسة الدولة ٠

ولسنا فى حاجة الى شرح مبادىء الحياد الايجابى وسياسة عدم الانحياز ٠

٤ ـ العمل على تدعيم السلام ٠

ان العالم كله لا زال يسمع النداء التاريخى الذى وجهه الرئيس جمال عبد الناصر من بورسعيد فى يوم النصر (٢٣ ديسمبر ١٩٥٧) ، فقد قال الرئيس :

ـ باسم مصر أوجه من بورسعيد دعوة الى العالم كله من أجل السلام ومن أجل العمل للسلام ومن أجل نبذ الحروب ومن أجل ازالة التوتر ، ومن أجل القضاء على الحروب الباردة ٠

وهذا النداء هو أساس السياسة التى ترتكز على الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، والدولة الجديدة تهدف الى تدعيم السلام ، والعمل من أجله ٠

هذه الخطوط الرئيسية هى دعائم التخطيط المستقبلى للجمهورية العربية المتحدة ، وهى خطوط تستمد كل قوتها من القومية العربية وتنطلق نحو تحقيق أهدافها على هدى مبادىء القومية العربية ٠

وثائق وبيانات تاريخية

فى جلسة تاريخية عقدت فى قصر القبة بالقاهرة فى ١٢ من رجب سنة ١٣٧٧ هـ الموافق أول فبراير سنة ١٩٥٨ ، اجتمع فخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية وسيادة الرئيس جمال عبد الناصر رئيس جمهورية مصر بممثلى جمهوريتى سورية ومصر السادة صبرى العسلى ، عبد اللطيف البغدادى ، خالد العظم ، زكريا محيى الدين ، حامد الخوجة ، أنور السادات ، فاخر الكيالى ، مأمون الكزبرى ، حسين الشافعى ، أسعد هارون ، الفريق عبد الحكيم عامر ، صلاح الدين البيطار ، كمال الدين حسين ، خليل الكلاس ، نور الدين طراف ، صالح عقيل ، فتحى رضوان ، اللواء عفيف البزرى ، محمود فوزى ، كمال رمزى استينو ، على صبرى ، عبد الرحمن العظم ، محمود رياض .

كانت غاية هذا الاجتماع أن يتداولوا فى الاجراءات النهائية لتحقيق ارادة الشعب العربى ولتنفيذ ما نص عليه دستور الجمهوريتين ، من أن شعب كل منهما ، جزء من الامة العربية . لذلك تذاكروا ما قرره كل من مجلس الامة المصرى ومجلس النواب السورى ، من الموافقة الاجماعية ، على قيام الوحدة بين البلدين ، كخطوة أولى ، نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة . كما تذاكروا ما توالى فى السنين الاخيرة من الدلائل القاطعة على أن القومية العربية كانت روحا لتاريخ طويل ، ساد العرب فى مختلف اقطارهم . ولحاضر مشترك بينهم ، ومستقبل مأمول من كل فرد من أفرادهم .

وانتهوا الى أن هذه الوحدة التى هى ثمرة القومية العربية هى طريق العرب الى الحرية والسيادة ، وسبيل من سبل الانسانية

للتعاون والسلام • ولذلك فان واجبهم أن يخرجوا بهذه الوحدة ، من نطاق الامانى ، الى حيز التنفيذ ، وفى عزم ثابت واصرار قوى• ثم خلص المجتمعون من هذا كله الى أن عناصر قيـــام الوحدة بين الجمهوريتين السورية والمصرية وأسباب نجاحها ، قد توافرت ، بعد أن جمع بينهما فى الحقبة الاخيرة كفاح مشترك زاد معنى القوميـة وضوحا ، وأكد أنها حركة بناء وتحرير وعقيدة تعاون وسلام •

لذلك يعلن المجتمعون اتفاقهم التام ، وايمانهم الكامل ، وثقتهم العميقة ، فى وجوب توحيد سورية ومصر ، فى دولة واحدة اسمها « الجمهورية العربية المتحدة » •

كما يعلنون اتفاقهم الاجمـــاعى على أن يكون نظام الحــكم فى الجمهورية العربية ديمقراطيا رياسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعي واحد ويكون لهذه الجمهورية علم واحد ، يظل شعبا واحدا ، وجيشا واحدا ، فى وحدة يتساوى فيها أبناؤها فى الحقوق والواجبـــات ، ويدعون جميعا لحمايتهـــا بالانفس والمهج والارواح ، ويتســـابقون لتثبيت عزتهـــا وتأكيد منعتها • وسيتقدم كل من فخامة الرئيسين شكرى القوتلى وجمال عبد الناصر ببيان الى الشعب يلقى أمام مجلس النواب الســـورى ومجلس الامة المصرى ، فى يوم الاربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٥٨ ، يبسطان فيه ما انتهى اليه هذا الاجتماع من قرارات ويشرحان أسس الوحدة التى تقوم عليها دولة العرب الفتية •

كما سيدعى الشعب فى مصر وسورية الى استفتاء خلال ثلاثين يوما على أسس الوحدة وشخص رئيس الجمهورية •

والمجتمعون اذ يعلنون قراراتهم هذه يحسون بأعمق الســـعادة وأجمل ألوان الفخر ، اذ شاركوا فى الخطوة الايجابية ، فى طريق

وحدة العرب حقبة بعد حقبة وجيلا بعد جيل ، والمجتمعون اذ يقررون وحدة البلدين يعلنون ان وحـــدتهم تتوخى جمع شمل العرب ، ويؤكدون أن باب الوحدة مفتوح لكل بلد عربى يريد أن يشترك معها فى وحدة أو اتحاد يدفع عن العرب الاذى والسوء ، ويعزز سـيادة العروبة ويحفظ كيانها . والله نسأل أن يكلأ هذهالخطوة، وما يتلوها من خطوات بعين رعايته الساهرة ، وبفضل عنايته السابغة ، وأن يكتب للعرب فى ظل الوحدة العزة والسلام .

كلمة الرئيس شكرى القوتلى فى الحفل

الذى أقيم بمناسبة اعلان الجمهورية العربية المتحدة

يوم أول فبراير ١٩٥٨

أيها المواطنون .. أيها المواطنون الاحبة .. يا أخوة العرب .. هذا يوم مشـهود من أيام العمر .. هــذا يوم عظيم فى تاريخ أمة العرب .. وتحول كبير فى مجرى الاحداث العالمية . فى هذا العصر، فى هذا المكان من هذه المدينة العربيـــة العظيمة .. نعن على الملأ باسم الشعب العربى فى كل من الجزءين العربيين الغاليين .. مولد الجمهورية العربية المتحدة .

أيها الاخوة أنه يوم من أيام التاريخ الخالدة ترمقه عيون الاجيال وتحوم حوله فى هذه اللحظة أرواح الشهداء الابرار .. انه فدية من ماضى الجهاد المجيد . ورجاء من روح المستقبل العربى العتيد .. انه اليوم الذى يحمل ثمرة جهودنا وجهادنا دانية القطوف ، شهية يانعة وقد هبت عليها نسمة من روح الله بارىء الحياة .. ومن روح هذه الأمة الخالدة .. ومن روح الايمان والعزيمة والصدق ، والاخلاص ، انه بالنسبة الى أيها الاخوة الاحبة وقد نذرت نفسى لخدمة القضـية العربية منذ فجر الشباب قبلة رجاء ، وفرحة عمر، ونعمةمن السعادة تهز كيـــانى وتغمر وجدانى ، وتفيض على رضا من الله وضميرى

وأمتي ٠٠ اريد أن أقول لكم أيهـــا الاخوة في هـــذا الموقف التـــاريخي الذي يشرفنا أننا باعلاننـــا وحدة الجزءين العربيين الغـــالين ، والقطرين المجـــاهدين المناضلين ، وطنـــا واحـــدا في جميع مواقفه وشئونه ، بلا تفريق ولا تمييز ، وبلا تحديد وبلا تحفظ. اننا لم نأت بجديد ولم نحاول الصـــناعة ، بل أننا نصحح اوضـــاعا ونعيدها الى أصـــولها وننسجم بذلك كل الانسجام مع خصائص الوجود العربي ، وحقيقة الأمة العربية ، وحقيقتها كانت وما زالت وستبقى الى الابد حرية ووحدة ٠ واني لعلى ايمان راسخ ، بأن العزة العربيـــة اذا وعت وتحررت تعارفت وأتلفت ، وتجمعت فتلاقت ، فالالفة هي الاصل ، والحرية للعرب أمر محتوم مقدور،ولن تستطيع كف الانسان العاتي مهما اصطنعت لنفسها من قوى الشر أن تغير قليلا أو كثيرا من أقدار الأمة العربية ٠ من أجل هذا أراني واثقا كل الوثوق أن وحدتنا القومية هذه نواة ستكبر وتنمو،وخطوة في صميم الواقع العربي ستتلوها خطوات ٠ ولقد فتحنا نوافـذها للشمس ووضعنا خط الاجيال الصاعدة في أفضل طريق نحو التحرر والوحدة ، فهنيئا للشعب العربي في مصر وسوريا ٠٠ وهنيئـــا للعرب جميعهم أينما كانت ديارهم ومساكنهم ٠ هنيئا لكل من خط بيده كلمة تاريخ وحدة العرب ، هنيئا لكل من شهد هذا اليوم المجيد بين أيام عمره وحياته ٠

وأنتم أيها المصريون ٠٠ أيها الاخوة في العروبة : لقد سرتم في نهضتكم بقيادة الرجل العربي جمال عبد الناصر فسارت بكم قضية العرب الى الامام ٠٠ اني أحييكم وأهز يد كل منكم على أحر ما تنعقد عليه الايدي من ود وصفاء ، فقلوبنا معكم والله مؤيدنا وناصرنا ٠

كلمة الرئيس جمال عبد الناصر

فى اليوم التاريخى لاعلان الجمهورية العربية المتحدة

(أول فبراير ١٩٥٨)

أيها المواطنون ..

هذا اليوم الذى تلتقى فيه جمهورية مصر مع جمهورية سورية ، وتتوحد الجمهوريتان لتكونا الجمهورية العربية المتحدة ، هذا اليوم من أيام العمر التى تعتز بها جمهورية مصر وجمهورية سورية ليتوحدا ويكونا الجمهورية العربية المتحدة ، هذا اليوم من أيام العمر التى نعتز بها على مر الزمن ونعتز بها على مر الايام .. اليوم الشعب العربى فى سورية ، الشعب العربى فى مصر يقرر ويعلن قراره والشعب العربى فى سورية والشعب العربى فى مصر يقرر ويعلن مشيئته لقيام دولة جديدة .. دولة عظمى .. دولة قوية تنبع ارادتها من شعبنا ، وتنبع ارادتها من نفسها ، وتنبع ارادتها من ضميرها . اليوم الشعب العربى فى سورية ، والشعب العربى فى مصر يقرر قيام هذه الدولة التى تثق فى قوتها وتثق فى حقها فى الحرية وتثق فى حقها فى الحياة ، هذه الدولة التى تعمل من أجل ارساء قواعد العدالة وارساء قواعد السلام .. اليوم يا اخوانى نشعر جميعا اننا استطعنا ان نقيم دولة عظمى قوية حقيقة لأول مرة فى هذا المكان بعد أن كان الاجنبى يقيم بيننا ويعلن عن نفسه انه يمثل القوة الكبرى ويمثل القوة العظمى ..

أيها المواطنون ..

لقد كنا نتكلم عن القومية العربية ، وكانت القومية العربية شعارات وهتافات ، وكانت القومية العربية نداءات عاطفية ونداءات معنوية ، كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر بقوتها وكنا نشعر بقيمتها .. كنا نتكلم عن القومية العربية وكنا نشعر أن أعداءنا

أرادوا دائما أن يفرقوا بيننا ، وكنا نشعر أن أعداءنا أرادوا دائما أن يقسموا الامة العربية الى أمم صغرى يتحكمون فيها ويسيطرون عليها ، وكنا نشعر أن كل دولة منا تؤثر على مصير الدولة الاخرى ، وكنا نشعر ألا بد أن نتضامن ولا بد أن نتحد ولا بد أن نتآزر ولا بد أن نتآخى حتى ندفع عنا أطماع الطامعين ، وحتى نرفع عنا غيلة الزمن وحتى لا تتكرر مأساة فلسطين وحتى نستطيع أن نحافظ على الوطن العربى ، كنـا متحدين متكاتفين •• واليوم أيها الاخوة المواطنون بعد أن كانت القومية العربية هتافا وشـعارا أصبحت حقيقة واقعة •• اليوم اتحد الشعب العربى فى سورية مع الشعب العربى فى مصر •• وكونت الجمهورية العربية المتحدة،هذه الجمهورية المتحدة ستكون سندا للعرب جميعا ، ستكون قوة للعرب جميعا ، ستعادى من يعاديها وتسالم من يسالمها ، وتتبع سياسة تنبع من نفسها ، سياسة تنبع من ضميرها •

اليوم أيها الاخوة المواطنون ، اليوم يوم خالد فى تاريخنا،ومرحلة حاسمةفى تاريخنا •• اليوم نشعر أن القومية العربية تتحقق حقا اليوم ننظر الى المستقبل ونشعر أنه سيكون بعون الله مليئا بالعزة والكرامة •• ننظر الى المستقبل وننظر الى الماضى ونكرر فى نفس كل واحد منا أن الماضى لن يعود •• لن يسيطر علينا أجنبى ولن يستبد بنـا مستبد ، ولكنا سنتجه للامام لنبنى ، ونشـيد لرفع مستوانا ولنزيد من قوتنا حتى لا يتكرر ما فات • ننظر الى المستقبل ونتجه اليـه ونراه مستقبلا عزيزا كريما •• وننظر الى القوميـة العربية التى نادينا بها والتى حلمنا بها ، والتى كانت لنا من الامانى وسنعمل جميعا بعون الله على تثبيت أهداف القومية العربية وعلى تثبيت أسسها ، سنعمل جميعا مع الوطن العربى ومع الشعب العربى فى كل مكان • أيها الاخوة المواطنون فلنطلب من الله الهداية والتوفيق

أيها المواطنون •• فى هذه اللحظة لا بد أن أذكر لكم جهاد الرجل

العربى الذى جاهد فى سبيل الوحدة العربية مدة تزيد عن الخمسين سنة .

اليوم أيها المواطنون أتحدث اليكم عن جهاد شكرى القوتلى الذى حارب فى سبيل استقلال بلده وفى سبيل استقلال وطنه . حارب فرنسا وسجن وحكم عليه بالاعدام ، وحارب أيضا ، أيها المواطنون من أجل الشعوب العربية ومن أجل الوحدة العربية فاذا كنت أهنئكم اليوم فاننى أهنىء شكرى القوتلى الذى استطاع أن يحقق الحلم الذى
اليوم فاننى أهنىء شكرى القوتلى الذى استطاع أن يحقق الحلم ،
واستطاع أن يحقق الآمال .

أيها المواطنون .. بهذه الصفات وبهذه القيم نستطيع أن نثبت المبادىء ونستطيع أن نثبت المثل العليا : بهذه المبادىء وبهذه المثل العليا التى بناها شكرى القوتلى والتى عبر عنها شكرى القوتلى والتى أظهرها شكرى القوتلى ، أيها المواطنون .. باسمكم جميعا أتكلم الى الاخ الاكبر أخى شكرى القوتلى وأقول له أننا جميعا نحييك واننا جميعا نحيى جهادك والله يوفقك، وان الشعب العربى فى كل مكان سيذكر على مر الزمن ما قمت به وان الجمهورية العربية المتحدة هى خير هدية نقدمها لك اليوم باعلان مولدها على أنها هى النتيجة الكبرى لجهادك فى سبيل الوحدةالعربية ، وفى سبيلالقومية العربية والله يوفقنا جميعا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب الرئيس جمال عبد الناصر

بمجلس الأمة المصرى فى مساء ٥ فبراير ١٩٥٨

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

فى حياة الشعوب ، أجيال يواعدها القدر ، ويختصها دون غيرها بأن تشهد نقط التحول الحاسمة فى التاريخ .

انه يتيح لها أن تشهد المراحل الفاصلة فى تطور الحياة الخالدة ،

تلك المراحل التى تشبه مهرجان الشروق حين يحدث الانتقال العظيم ساعة الفجر من ظلام الليل الى ضوء النهار ·

ان هذه الاجيال الموعودة تعيش لحظات رائعة ·

انها تشهد لحظات انتصار عظيم لم تصنعه وحدها ، لم تتحمل تضحياته بمفردها ، وانما هى تشهد النتيجة المجيدة لتفاعل عوامل أخرى كثيرة واصلت حركتها فى ظلام الليل ووحشته ، وعملت وسهرت وظلت تدفع الثوانى بعد الثوانى الى الانتقال العظيم ساعة الفجر ·

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ··

أن هذا الجيل من شعب مصر ، من تلك الاجيال التى واعدها القدر لتعيش لحظات الانتقال العظيمة التى تشبه مهرجان الشروق ·

لقد عشنا ساعة الفجر ، ورأينا انتصار النور الطالع على ظلمات الليل الطويل ·

لقد عشنا فجر استقلال ·
وعشنا فجر الحرية ·
وعشنا فجر العزة والكرامة ·
وعشنا فجر القوة ·
وعشنا فجر الامل فى بناء مجتمع سعيد ·
واليوم نعيش فجرا جديدا رائعا ·
لقد بدأ مشرق الوحدة ·

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ··

لقد سبق كل فجر شهدنا مطلعه ليل طويل ·

لقد سبقت فجر الاستقلال وفجر الحرية وفجر العزة والكرامة وفجر القوة وفجر الامل ، ليال طويلة امتدت مئات السنين فى صراع مستمر مع ظلام الاستعمار والاستبداد والظلم والضعف ·

ليال عاشتها أجيال قبلنا وقاست أهوالها وتحملت مصاعبها لكى تقرب منا اللحظات الرائعة للانتقال العظيم ·

وكذلك هذا الفجر الذى نشهد اللحظة مطلعه ٠

ان الليل الذى سبق فجر الوحدة هو دون شك أطول ليالى كفاح أمتنا العربيـة ، ذلك أن الامل الذى يتحقق لنا اليوم هو أقـدم آمالنا ٠

أن تاريخ الوحدة فى عمر أمتنا ، هو نفس عمر تاريخ أمتنا ٠

لقد بدأ معها منذ بدأت ، ونشـأ على نفس الارض ، وعاش نفس الحوادث ، واندفع الى نفس الاهداف ، فلما استطاعت أمتنا أن ترسى قواعد وجودها فى هذه المنطقة وتثبت دعائم هذه القواعد كان مؤكدا أن الوحدة قادمة وأن موعدها بات قريبا ٠

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ٠٠

لقد كان الكفاح من أجل الوحدة هو نفسه الكفاح من أجل القوة ، من أجل الحياة ٠

ولقد كان التلازم بين القوة والوحدة أبرز معالم تاريخ أمتنا ٠

فما من مرة تحققت الوحدة الا تبعتها القوة ، وما من مرة توفرت القوة الا كانت الوحدة نتيجة طبيعية لها ٠

وليس محض صدفة أن اشاعة الفرقة واقامة الحدود والحواجز كان أول ما يفعله كل من يريد أن يتمكن فى المنطقـة ويسـيطر عليها ٠

وكذلك لم يكن محض صدفة أن محاولات الوحدة فى المنطقة لم تتوقف منذ أربعة آلاف سنة ، طلبا للقوة ، بل طلبا — كما قلت — للحياة ٠

ولقد كان أسلوب السعى الى الوحدة يتشكل بالخطر الذى تعيش فيه كل محاولة لتحقيقها ، ولكن الهدف ظل دائما لا يتغير وبقيت الغاية فى كل وقت هى اللحظات التى نعيشها الآن ٠

لقد اتحدت المنطقة بحكم السلاح يوم كان السلاح هو وسـيلة التعبير فى الطفولة الاولى للبشرية ·

واتحدت المنطقة بيقين النبوات حين بدأت رسالات السماء تنزل الى الارض لتهدى الناس ·

واتحدت المنطقة بسلطان العقيدة حين اندفعت رايات الاسـلام تحمل رسالة السماء الجديدة ، وتؤكد ما سبقها من رسالات وتقول كلمة الله الاخيرة فى دعوة عباده الى الحق ·

واتحدت المنطقة بتفاعل عناصر مختلفة فى أمة عربية واحدة ·

واتحدت المنطقة باللغة يوم جرت العربية وحدها على كل لسان·

واتحدت المنطقة تحت دافع السلامة المشتركة يوم واجهت استعمار أوروبا يتقدم منها محاولا أن يرفع الصليب ليستر مطامعه وراء قناع من المسيحية ، وكان معنى الوحدة قاطعا فى دلالته حين اشتركت المسيحية فى الشرق العربى فى مقاومة الصليبيين جنبا الى جنب مع جحافل الاسلام حتى النصر ·

واتحدت المنطقة بالمشاركة فى العذاب يوم حلت عليها غارات الغزو العثمانى وأسدلت من حولها أستار الجهل تعوق تقدمها وتمنعها من الوصول الى عصر النهضة فى نفس الوقت الذى بدأ فيه عصر النهضة فى أوروبا ·

بل ان المنطقة اتحدت فيما تعرضت له فى كل نواحيها من سيطرة الاستعمار عليها ، ثم كان اتحادها فى الثورة على هذا الاستعمار بكل أشكاله ، ومقاومته فى تعدد صوره ·

ومع الوحدة فى الثورة كانت الوحدة فى التضحيات، فان المشانق التى نصبها جمال باشا فى دمشق عاصمة سورية لم تكن تختلف كثيرا عن المشانق التى نصبها اللورد كرومر فى دنشواى هنا فى مصر ·

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

هكذا ترون الوحدة حقيقة .. حقيقة نسعى اليها أو حقيقة قائمة بالفعل .

وهكذا ترون أن الصراع من أجل القوة ، من أجل الحياة ، يتم ويتحقق بالوحدة ، أو ترون الوحدة لا تتم ولا تتحقق الا بالقوة ، بالحياة .

هكذا ترون أن تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة هو بنفسه تاريخ دمشق فى خطوطه العريضة .

ولقد تختلف التفاصيل ، ولكن المعالم البارزة هى نفس المعالم . نفس الدول ، نفس الغزاة ، نفس الملوك ، نفس الابطال ونفس الشهداء .

بل انه لما بدا فى بعض الاحيان أن مصر ابتعدت عن الفكرة العربية وقطعت ما بينها وبين المنطقة من صلات ، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر ، ثم تحت حكم أسرة محمد على ، لم يكن الامر فى باطنه بمثل ما يبدو فى ظاهره .

لم يكن البعد الا سطحيا ولم تكن القطيعة الا باللسان .

أما الشواهد الحقيقية ، وأما الادلة الاصلية ، فكانت تؤكد بأن ما قربه الله لا يمكن أن يبتعد ، وما وصلته الطبيعة لا يمكن أن ينقطع .

من بين الشواهد أو الادلة أن جيش الفلاحين الذى سار تحت قيادة ابراهيم باشا ليحرر سورية من الظلم العثمانى كان يسمى نفسه : الجيش العربى .

ومن بين الشواهد أو الادلة أن القاهرة التى سارعت فى النصف الاخير من القرن التاسع عشر الى فتح النوافذ لتيارات النهضة تحولت الى قلعة الفكر الحر فى الشرق العربى ، وما لبث رواد الحرية

فى سورية ورواد الحرية فى المنطقة العربية كلها أن وفدوا اليهـا يتحصنون بأسوارها المنيعة ويبعثون منها اشعاعات الفكر لتعبىء وتلهم . بل ان القاهرة تحولت فى مطلع القرن العشرين فأصبحت هى ودمشق المركز الرئيسى للجمعيات السرية التى راحت تناضل جبروت سلاطين استنبول من أجل تحرير الامة العربية بكل ما يملكه الشباب من روح البذل والفداء .

هكذا كانت الوحدة فى الحقيقة وكان كل ما عدا الوحدة اصطناعا.

وهكذا كان واضحا أنه اذا تركت المنطقة تستوحى طبيعتهـا وتستلهم مشاعرها وتستمع الى دقات قلبها فان اتجاهها الى الوحدة يصبح لا ريب فيه ولا مناص منه .

وهذا هو ما حدث ..

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

حين حصلت سورية على استقلالها الكامل تطلعت الى مصر .

وحين حصلت مصر على استقلالها الكامل تطلعت الى سورية .

ولقد كان التقارب بل التوافق والتماثل كاملا حتى قبل أن يوقع ميثاق جامعة الدول العربية وحتى بعد أن تم توقيعـه وأرادت له بعض القوى أن يبقى حبرا على ورق .

لقد كان فى سورية رد فعل لكل حـركة فى مصر كما كانت أصداء كل الذى يحدث فى دمشق تتجاوب فى القاهرة .

فى مصر وسورية ذلك الفوران الذى أعقب الحرب العالمية الثانية وبدأت على أثره حركات التحرير الهائلة فى أفريقيا وآسيا .

فى سورية ومصر هذه الهزات العنيفة وراءها جميعا محـاولات تغيير الاوضاع تطلعا الى الافضل والاحسن .

فى مصر وسورية ذلك الاندفاع الى حرب فلسطين بالفروسية والايمان ولكن من غير سلاح ، ثم كانت فى القاهرة ودمشق تلك الآثار التى ترتبت على حرب فلسطين والتى كان أولها تلك اليقظة التى تشبه انتفاضة من لسعته النار فاستفاق .

ثم فى سورية ومصر نفس المعارك ، ولو قصرنا الحساب على الشهور الاخيرة فقط لكان مدهشا أن المعارك التى خاضتها دمشق هى نفس المعارك التى خاضتها القاهرة : معركة الاحلاف العسكرية، معركة السلام ، معركة عدم الانحياز ، معركة المؤامرات ، معركة التحرر الاقتصادى .

بل ان سورية خاضت معركة قناة السويس بنفس العنف وبنفس القوة التى خاضت بها بورسعيد معركة قناة السويس ، وكذلك حاربت مصر معركة التهديدات الموجهة الى سورية وأعصابها كلها فى دمشق وأمام أعصابها قطعة من جيشها احتل جنودها مراكزهم جنبا الى جنب مع اخوانهم جنود سورية .

ولقد كان ذلك كله مدهشا ولكنه لم يكن من وضع الصدف .

لقد مهدت عوامل كثيرة وكبيرة ، نبيلة وعميقة ، لهذا الذى ربط بين مصر وسورية . ومهدت الطبيعة ومهد التاريخ ،مهد الدمومهدت اللغة ، ومهدت الاديان ومهدت العقائد ، ومهدت السلامة المشتركة ومهدت الحرية .

كذلك اشتركت فى التمهيد له تجارب من الالم والعذاب صنعها فرسان الطغيان الثلاثة : السجن ، والمنفى ، والمشنقة .

ولكن ذلك كله كان يمهد لهذا الفجر الذى نشهد اليوم مطلعه بعد ليل طويل .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

ولقد كان البشير بالفجر هو ذلك القرار الذى اتخذه مجلس

النواب السورى واتخذه مجلسكم بالعمل فورا لتحقيق الوحـــدة بين مصر وسورية ٠

كان قراركم هذا تعبيرا عن واقع هائل لا يمكن تجاهله وصـدى مستجيب لنداء قدسى لا نستطيع أن نغلق آذاننا دونه ٠

ولم يكن هذا الواقع موجودا فى دمشق والقاهرة وحدهما ، كذلك لم يكن ذلك النداء القدسى فى هذا النطاق وحده لا يتجاوزه ، وانما كان الواقع موجودا فى كل أرجاء الوطن العربى ، وكان النداء هو هدير التيار المتلاطم بالموج، ذلك التيار الذى شقت القومية العربية كلها مجراه ووحدت له خط سيره ٠

وهكذا بدأت فى القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخـارجى للحقيقة الواقعة ٠

لقد كانت هذه المحادثات فى القاهرة تجربة جديدة فى التاريخ ٠

انها لم تكن اجتماعا يتم بناء على رغبة ساسة أو حكام ٠

وانما كانت اجتماعات تمت بناء على ضغط والحاح ارادة عنيـدة مصممة صادرة من قلوب الشعوب ٠

ولقد كان خيرا على أى حال أننا تركنا الامور تصل الى هذا المدى، فلقد كان ينبغى للشعوب أن تأخذ فرصتها كاملة حتى تتثبت من يقينها ، وحتى يترسب ايمانها من الايام الى أعماق الاعماق ، حتى تؤكد لها الحوادث والتطورات أن طريق الوحدة هو طريق القوة ، طريق الحياة ٠

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ٠٠

كان معنى محادثاتنا فى القاهرة ، ووصول رائد الوحدة ، بطلها ورافع رايتها المجاهد شكرى القوتلى الى مصر مع وفد من رفاقه فى

الجهاد ، كان معناه أن الأوان قد آن ، أن الساعة التى تطلع اليهـا أجدادنا ، وعمل من أجلها آباؤنا قد دقت أجراسها ، وأنه قد كتب لجيلنا بعد ليل طويل أن يشهد مطلع صبحها ٠

كان معناه أن الذى تخيلوه فى المنى قد أصبح واقعا ، وأن الذى ذاقوا من أجله الموت قد أصبح هو الحياة نفسها ٠

كان معناه أن الذى نصبت المشانق لتحول دونه ، قد أصبحت له وحده قوة القانون وقدرته ٠٠

كان معناه أن الذى اصطنعت الفرقة بين أجزائه ، قد عاد الى طبيعته التى أودعها الله فيه ، كلا متجانسا متحدا ٠

كان معناه أن السلاسل تكسرت ، أن السدود انهارت، أن الحواجز سقطت ، وأن الشظايا المتناثرة والاجزاء المتفرقة توشك أن تعود الى بعضها بل الى كلها ٠

كان معناه أن سـورية ومصر ، قد قررتا تحمل المسئوليـة التاريخية التى تهيأتا لها بوصفهما بلدين عربيين خلص زمام الامر فيهما لأبنائهما ، وتحققت لهما فى أراضيهما سيادة حقيقية واستقلال كامل ٠

كان ذلك هو معنى محادثات القاهرة ٠

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ٠٠

ولقد انتهت محادثاتنا الى اعلان الوحدة رسميا ، وتوقيع هـذا الاعـلان فى يوم السبت الاول من فـبراير سنة ١٩٥٨ ، وقـد أودع هذا الاعلان التاريخى فى مكتب مجلسكم ، وكانت النتيجـة الكبرى له هى توحيد مصر وسورية ، فى دولة واحـدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة ، يكون نظام الحكام فيها ديمقراطيـا رياسيا ، يتولى فيه السلطة التنفيذية رئيس الدولة يعـاونه وزراء

يعينهم ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية ، مجلس تشريعي واحد ، ويكون لها علم واحد ، يظل شعبا واحدا ، وجيشا واحدا ، في وحدة يتساوى فيهـا أبناؤها في الحقـوق والواجبات .

ثم كان اتفاقا بعد ذلك على المبادىء الاساسية التى تقوم عليهـا الجمهورية فى فترة الانتقال .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة .

هنا لا بد لى من وقفة أتحدث فيها عن دستور ١٦ يناير الذى كان مجلسكم أعظم نتائجه .

ان هذا الدستور خالد ، لم يكن معقولا أن الثورة التى وضعته وأعلنت قيامه منبثقا من صميم ارادة الشعب وخلاصة تجاربه ترضى لهذا الدستور أن يسقط أو يضيع .

لكن الدستور كما قلت لحضراتكم يوم كان لى شرف الحديث اليكم هنا فى يوم ١٦ يناير الماضى ، ليس مجرد النصوص الجامدة ، وانما هو الحركة الدائمة اليقظة فى اتجاه المستقبل الذى نسعى اليه ، هو الاطار الذى ينظم هذه الحركة ويجمع صفوفها .

لقد وقعت حـركة هائلة جمعت شعبين من أمة واحـدة فى جمهـورية متحدة ، وكان لا بد أن يتسع الاطار لكى يسـتطيع أن يضم النطاق الجديد المتسع .

لذلك كان لا بد لدستور ١٦ يناير أن يدخل فى تجربة حيـاة أفسح وأرحب ، وكذلك كان لا بد لمجلسكم الذى كان أعظم نتائج دستور ١٦ يناير أن يدخل نفس التجربة .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

قلت لحضراتكم مرة اننا نعتبركم مجلس الثورة الجديد ، باعتبار

أن الثورة مستمرة ، وانه لما يدعو الى الامل أن تجربة الشـــــهور القليلة التى مضت ، منذ بدأ مجلسكم يمارس عمله كانت تبشر بتعاون كامل ، يستهدف صيانة مصالح الشعب ويسعى الى بناء المجتمع الجديد ٠

انه لحق علينا أن نقول لحضراتكم فى هذه اللحظات الفاصلة فى تاريخ شعبنا : انكم كنتم على خير ما كنا نؤمل ونتمنى، ان مشاركتكم لنا فى المسئوليات كانت خير عون لنا فيما مضينا لتحقيقـــــه من الامور ٠

انه لما يسعدنى ، أن التطور العظيم الذى نعيشــــه ، لن ينهى صحبتنا فيما نحن مقبلون عليه أكثر اندفاعا وأكثر صلابة وأعز حدة وتضامنا ٠

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ٠٠

على أننى أرى أنه من واجبى فى هذه اللحظات أن أصارحكم ، وشعب الجمهورية العربية المتحدة كله معكم ، أن الطريق الذى نقبل عليه طويل وشاق ٠

ان رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس ٠

وانما رحلتنا عليه مشاق ومتاعب ، وكفاح وجهاد ٠

ولكن هذه كلها هى الثمن العادل للامل الكبير الذى نسعى اليه٠

ولسوف يضاعف من مصاعب ما سوف نلقاه أمامنا على الطريق ، أن الذين لا تروقهم وحدة سورية ومصر ولا توافق أغراضهم ، لن يتقبلوها بالرضا والسكوت ، وانما ستكون المســاعى ، وستكون المحاولات ، وستكون المناورات ٠

لهذا أقول لكم من الآن ، اننا فى سعينا على طريق أملنا ، يجب أن نظل مفتوحى الاعين ، منتبهى الحس والوجدان ٠

أيها المواطنون .أعضاء مجلس الامة ..

اننا نعيش فترة رائعة ، ولكن علينا أن ندرك أن لهذه الفترة الرائعة أخطارها أيضا .

وربما كانت شهوات أنفسنا هى أكبر الاخطار التى يتعين علينا مواجهتها . لقد مرت علينا قرون من الزمان وأحلامنا وأمانينا ورغباتنا وأهدافنا ، حبيسة وراء الحواجز والسدود التى صنعها الاستعمار .

ولقد تهاوت الحواجز والسدود ، لما زال الاستعمار من بلادنا ، وهكذا بدأت الأحلام والامانى والرغبات والاهداف تنطلق من عقالها وتتدافع بسرعة الكبت الطويل فى مثل تدفق الفيضان .

ولقد كان هذا هو التفسير الحقيقى لسرعة الحوادث فى جيلنا ، وهو أمر طبيعى بعد أجيال عديدة مكبوتة ، ولكنه أيضا تحذير كما هو تفسير .

انه تحذير بأن من أول واجباتنا أن نقيم من الحكمة خزانات على أمانينا ، ثم نفتح عيونها ليمر التيار .. ليمر التيار على شكل الفيضان المنظم ، ولا يقفز فوق رءوسنا كالطوفان العالى الشديد .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

اننى واثق أن التجربة التى نواجهها اليوم ، ستحقق كل ما يرجوه لها هؤلاء الذين عملوا لمشرق فجرها ، طوال الليل الموحش المظلم .

وانه لما يؤكد ثقتى ، أن الله - تعالت قدرته - قد جمع قلبنا بقلب خير رفيق على طريق ، خير سند فى معركة ، خير قريب ، خير أخ ، خير حبيب ...

لقد أكد شعب سورية بتجارب الايام ، تجربة بعد تجربة ، أنه

طليعة القومية العربية ، وأنه رأس الحربة فى اندفاعها ، وأنه الحارس الامين لتراثها المجيد .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

لقد بزغ أمل جديد على أفق هذا الشرق .

ان دولة جديدة تنبعث فى قلبه .

لقد قامت دولة كبرى فى هذا الشرق ، ليست دخيلة فيه ، ولا غاصبة ، ليست عادية عليه ولا مستعدية .

دولة تحمى ولا تهدد ، تصون ولا تبدد ، تقوى ولا تضعف، توحد ولا تفرق ، تسالم ولا تفرط ، تشد أزر الصديق ، ترد كيد العدو ، لا تتحزب ولا تتعصب ، لا تنحرف ولا تنحاز . تؤكد العدل، تدعم السلام ، توفر الرخاء لها ،ولمن حولها ، وللبشر جميعا بقدر ما تتحمل وتطيق .

أيها المواطنون أعضاء مجلس الامة ..

وفقكم الله ، وبارك لكم وحدتكم . وحمى جمهوريتكم العربيـــة المتحدة .

قرار مجلس الأمة

اجتمع مجلس الأمة المصرى ،
بعد الاستماع الى خطاب
الرئيس جمال عبد الناصر ،
واتخذ القرار الآتى :

يعلن مجلس الامة تأييده الكامل للسياسة التى رسمها السيد الرئيس جمال عبد الناصر فى البيان التاريخى الذى ألقاه بجلسة يوم الاربعاء ١٦ من رجب سنة ١٣٧٧ الموافق ٥ من فبراير سنة ١٩٥٨ لتحقيق قيام الدولة العربية المتحدة ، تنفيذا لارادة الشعب العربى فى سورية ومصر ..

ويرى فى هذه السياسة استجابة كاملة لما قرره مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى بالاجماع من قيام الوحدة بين البلدين كخطوة أولى نحو تحقيق الوحدة العربية الشاملة .

ويحيى المجلس — فى هذه اللحظات الخالدة فى تاريخ الامة العربية — جهاد البطلين العظيمين شكرى القوتلى وجمال عبد الناصر ، هذا الجهاد الذى حقق لأمة العرب أعظم نصر تاريخى ، ترجم أحلام أجيال الى واقع ملموس باقامة الدولة العربية المتحدة ، النواة الاولى لاعادة التحام الكيان العربى الواحد الذى مزقه الاستعمار وفرق بينه أعداء القومية العربية .

ويشيد بالروح الوطنية العالية وبالمشاعر القومية النبيلة والتسابق فى الايثار والتضحية وانكار الذات التى سادت جميع من أسهموا فى اقامة هذا الصرح القومى الخالد ، مما يبشر بمتانة الاساس ، وقوة البناء ، وتحقيق الخير لكل فرد من أفراد الامة العربية .

ويذكر مجلس الامة ، وقد تحقق للامة العربية هذا النصر المؤزر ، الشهداء العرب الابرار الذين سقطوا على مر الاجيال دفاعا عن حرية العرب واستقلالهم ومجدهم وقوميتهم ، فكانوا المشاعل التى أضاءت الطريق حتى أشرق فجر الحرية والعزة والوحدة ٠

وان مجلس الامة ليرى فى اقامة الدولة العربية المتحدة ايذانا بفجر جديد ، تتضافر فيه كل الجهود والقوى فى سورية ومصر فى سبيل واحد ، ونحو هدف واحد بايمان مشترك لتحقيق مجد العروبة

خطاب الرئيس شكرى القوتلى

فى مجلس النواب السورى مساء ٥ فبراير ١٩٥٨

أيها النواب المحترمون ٠٠

أفتتح كلمتى اليكم اليوم فى هذه الجلسة التاريخية ، التى يعقدها مجلسكم الكريم بحمد الله حمدا كبيرا كريما على ما أفاء علينا وما أحاطنا به من سابغ عنايته ، ووحد خطانا فى سبيل الصواب وألهمنا الخير والرشاد وأخذ بيدنا أخذا عزيزا فى سبيل مرضاته وابتغاء وجهه ووجه الحق حتى رأينا بأعيننا ما كنا نراه بأحلامنا وأمانينا ٠ وتفتحت لنا فى هذه الدنيا آفاق واسعة وآمال جسام ٠٠

ان نضالنا فى سبيل حريتنا كان يمشى جنبا الى جنب مع نضالنا فى سبيل الوحدة العربية ٠٠ فمنذ أن أعلنا جهادنا من أجل تحقيق استقلالنا أعلنا جهادنا على الملأ باسم العروبة ٠ وكانت كل خطوات جهادنا تدفعها شعائر القوة والأيمان والتاريخ المشترك والمصير المشترك ، فلقد أردنا أن تكون ثورتنا العربية ثورة فى سبيل الحرية والوحدة ٠

ولقد حاولت الدول الكبرى أن تقف عائقا يحول دون أن يستيقظ العملاق العربى ٠ وكان المستعمر ينظر الى بلادنا نظرة فراغ يطمع

فى ملئه ، ولكن عقيدتنا كانت ولا تزال هى أننا لم نجل الغاصبين ليحل محلهم غاصبون آخرون مهما كان تظاهرهم بصداقتنا ومجاملتنا . ثم أدرك المستعمرون أننا طلاب استقلال ووحدة . فلوحوا لنا بمشاريع مثل سورية الكبرى والهلال الخصيب ولكننا أدركنا أن هذه المشاريع ليس وراءها الا ربط شعبنا بعجلة مصالحهم .

ومهما تكن طبيعة الاحداث الدولية . وتقلباتها خلال الاعوام العشرة الاخيرة . فقد ثبت أن الوعى العربى قد بلغ أشده ، وما تعرضنا له من مكايد ومخاطر ما هو الا أحد العوامل الرئيسية التى وحدت هذه الامة ووضعت رجالها فى الخطوط الامامية ازاء معركة التحرير والوحدة . وأنه لما نفخر به اليوم ونحن مقبلون على حدث من أهم الاحداث فى القرن العشرين أن السوريين استفادوا من استقلالهم لتدعيم أركان الوحدة العربية .

لقد أعلنت عام ١٩٤٦ ، يوم الجلاء أنه لن يرتفع فوق علم الاستقلال سوى علم الوحدة العربية .

هذه هى مبادئنا .. نضال فى سبيل الحرية .. وحرية فى سبيل الوحدة .. لن نهادن فى جهادنا .. ولن نساوم فى مستقبلنا .. ولن ندخر طاقة ولا جهدا فى سبيل حريتنا ووحدتنا .

وفى خلال العامين الاخيرين من هذا التاريخ الحافل ، تم لقاؤنا القويم مع مصر الثورة .

نعم تم لقاؤنا . فكان لقاء صادقا على المبادىء القويمة السامية وعلى أسس صحيحة من سياسة دولية مستوحاة من مصلحتنا القومية العليا .. ومن حرصنا على صيانة معنى السيادة .

ولقد تعانقت فى التاريخ أرواحنا .. ولكن لقاء اليوم ، هو اعراب عن عزم ونضال تجلى فى وعى شعب عربى حر .. ووحدة هى نقطة اللقاء فى تاريخ العرب الحديث ..

لقد دعم الجبهة السورية المصرية عامل جديد من العوامل الخارجية ·· حاولت أن تصدعها ·· فزادتها صلابة وقوة ··

في سبيل هذه الحرية والسيادة وعلى هذه المبادىء وبروح كلها صدق وعزيمة ·· توالت انتصاراتنا فى مصر العزيزة ·· خلال الشهر الاخير ··

لقد انتهى جهادنا من أجل تحقيق الوحدة العربية ·· الى تلك الجلسة التى عقدت يوم أول فبراير فى قصر القبة · بحضور كامل أعضاء الحكومتين السورية والمصرية ·· وأعلنا باسم الله · وباسم الشعب العربى فى كل من الجزءين الغاليين · مولد الجمهورية العربية المتحدة ، مؤكدين فى البيان التاريخى أن عناصر الوحدة بين الجمهوريتين ، وأسباب نجاحها ، قد توافرت بعد أن جمع بينها فى الحقبة الاخيرة كفاح مشترك ·· وأثبتت أنها حركة تعمير وتحرير ، كما أنها حركة ايجابية فى سبيل وحدة البلدين وتضامنهما ·

أيها المواطنون ·· فى هذا اليوم الخالد من فبراير عام ١٩٥٨ يكون قد مر على انتخابى رئيسا للجمهورية من قبل مجلسكم الكريم ، ومنذ طوقتمونى بثقتكم الغالية ، سنتان ونصف السنة ، ومثلما أتيح لى خلال عهد الرياسة الاولى بين عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٦ شرف اعلان الاستقلال وجلاء الاجنبي عن هذا الجزء العربى العزيز ، كذلك أتيح لى شرف أرفع وأدعى الى الاعتزاز باعلان مولد الجمهورية العربية المتحدة خلال عهد رياستي هذه بين عام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٨ فأرجو أيها الاخوة أن أكون فى اعتباركم وفى اعتبار قادة الشعب العربى العظيم الذى يشرفنى أن أنتسب اليه ، مواطنا عاديا ، بل أرجو أن أكون فى اعتباركم قد أديت واجبى نحو بلادى وأمتى · وكنت أحمل الثقة التىأوليتمونى اياها خلالهذه الحقبة من الزمن العصيب، وان أخطأت فعذرى أننى عملت بصبر وايمان ودأبواخلاص · واننى انسان وليس الانسان بمعصوم ، وان فاتنى شرف الاستشهاد ولم

أكن بجوار الخالدين من أحرار هذه الامة ، فأمام الله أشهد أننى لم أجنب نفسى خطرا وقد أراد الله أن ألتقى بأجيال الشباب تتقدم الموكب العربى الطالع ، وفى جهادها وفى جباهها وعود المستقبل العظيم ، تطيب نفسى وتثلج صدرى وتعمر كيانى بسعادة الطمأنينة والثقة ، واننى اذ أرفع بيدى تلك الشعلة المقدسة لأسلمها فى أوج اشتعالها الى يد الاجيال الشابة القادرة فى أوج فتوتها وشبابها ، تلك اليد التى تحمل ، والساعد الذى يرفع ، والشعلة التى تضىء والجيل الذى يصعد ، والروح التى تتدفق ، والمستقبل الذى تبلج فجره وهلت للملأ آيته ٠

اننى أيها الاخوة الاعزاء اذ أسلم الامانة الغالية طيب النفس قرير العين ، واثقا مطمئنا أرشح لرياسة الجمهورية العربيــة المتحدة أمام مجلسكم الكريم فى هذه الفرصة القومية التاريخية الرجل المؤمن والقائد العربى الملهم الرئيس جمال عبد الناصر ٠

أيها الاخوة ، سأكون غدا فى يوم الاستفتاء يوم الواحد والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٥٨ أول من يقوم بواجبه كمواطن لانتخاب القائد الذى وضع ثورة مصر فى خدمة القومية العربية ، كما وضع نفسه فى خدمة أمته ليعمل فى سبيل حريتها ومجدها ورخائها ٠

فى هذا اليوم الخالد من فبراير عام ١٩٥٨ وجهت الى ســيادة رئيس مجلس الامة بمصر الرسالة التالية ، واننى أعتبرها موجهــة اليكم فى الوقت نفسه والى كل مواطن عربى فى أرض الجمهــورية المتحدة ، وقلت له فيها :

سيادة رئيس مجلس الامة بالقاهرة ٠٠

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠ وبعد ، فاننى اذ أعلن لمجلس النواب السورى رسميا مولد الجمهورية العربية المتحدة والميثاق الذى تم الاتفاق عليه بين حكومتى جمهورية مصر وجمهورية سورية فى اجتماعات القاهرة يوم الجمعة أول فبراير سيصبح حلم الاجيــال

حقيقة واقعة تنفيذا لارادة الجزءين العربيين الغاليين ، وأرى من واجبى ونحن قادمون على الاستفتاء الشعبى المقرر لانتخاب رئيس الجمهورية العربية المتحدة يوم الجمعة ٢١ فبراير عام ١٩٥٨ أن أكون المواطن الاول فى الدولة العربية المتحدة الذى يرشح سيادة الرئيس جمال عبد النـاصر رئيسا لها ، شعورا منى بالواجب تجـاه أمتى وبلادى . وثقة منى باخلاص الرجل العربى المؤمن الذى تعقد عليه الامة أكبر الآمال ، وتقديرا لما يتمتع به من صفات النزاهة والجرأة والاقدام ، وعلى رأسها تفانيه فى خدمة أمته وقوميته العربية ٠

وانني اذ أرشح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لتسلم هـذه الامانة الغالية أعلن ثقتى واطمئنانى الى أن سيـادته سيعمل على اعلاء شأن الجمهورية المتحدة الفتية بكل تجرد وصدق لما فيه عزها ورخاؤها وسعادة مواطنيها ٠ وما فيه خير العرب ورفاهيتهم فى جميع ديارهم ومساكنهم ، والله ولى التوفيق ٠

بهذا أيها النـواب الكرام ، أتم واجبى وأكون قد أديت الأمانة الغالية التى حملتمونى اياها تكريما وتشريفا، وأنا على أشد ما يكون المواطن مغمورا بسرور الرضا ٠٠ رضى الله سبحانه وتعالى ورضى ضميرى ورضى أمتى ٠ فالى مجلسكم الكريم رئيسا وأعضاء أوجه أجزل التحية والشكر لما نهضتم به من أعباء جسيمة وما أنجزتم من تشريعات مفيدة خلال عهد نيابتكم الزاهر ومثلتم شعبكم خير تمثيل وتوجتم أعمالكم القومية الباهرة بقراركم التاريخى بوحدة مصر وسورية . والى الحكومة المجيدة العاملة ، الى رئيسها ووزرائها الذين كانوا فى أيام الشدائد التى مرت بالبلاد خير من يمثل اباء هـذا الشعب ووحدته وطموحه واقدامه أجمل التحية والتقـدير لأمتهم بفضل علمهم ومواقفهم واخلاصهم وايمانهم تلقوا أعباء الحـكم فى البلاد أثناء اجتياز أدق المراحل فى تاريخها الحديث ، وقد بلغوا فى مباحثات الوحدة القومية مع مصر العزيزة أوج التوفيق والنجاح ، وكتبوا بأقلامهم وثيقة الحرية والوحدة ٠

والى الجيش السورى الفتى وضباطهوجنوده، أوجه تحيتى وشكرى واعجابى ، فقد كان الجيش أعيننا الساهرة وساعدنا العامل ودرعنا الواقية ، وكان القذى فى عيون الاعداء ، والخوف فى مضاجع رقادهم كما كان فى ميدان التعاون العسكرى عن طريق القيادة السورية المصرية المشتركة خير عامل من عوامل تحقيق الوحدة والقومية بين جيش الجزءين العربيين المناضلين ..

الى هذا الشعب العربى الحبيب الذى طالما منحنى محبته . وأكرمنى بثقته . وشجعنى بحماسته وايمانه ، وملأ قلبى زهوا وفخرا بأمتى وبلادى .. الى هذا الشعب الابى المقدام الذى كان أبدا من وراء كل شجاعة ومجد وبطولة وانتصار .. الى هذا الشعب أرسل تحيتى بوعد .. ووعدى أن أكون أبدا فى خدمته جنديا من جنوده، وعاملا أسعى لخيره واسعاده فى ظل عهده الجديد وجمهوريته العربيـــة المتحدة .

قرار مجلس النواب السورى

وقد اتخذ مجلس النواب السورى القرار الآتى :

ان مجلس النواب بعد أن استمع الى البيان التاريخى الذى تفضل فخامة رئيس الجمهورية بالقائه فى جلسة يوم الاربعاء الموافق ١٦ رجب سنة ١٣٧٧ و ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ شارحا أسس الوحدة بين الاقليمين العربيين مصر وسوريا ، يبارك الخطوات التى قام بهـا الرئيسان والحكومتان لتحقيق هذه الامنية القومية العزيزة على قلب كل عربى ، ويؤيد المبادىء الدستورية التى اتفق عليها ووردت فى البيان للعمل بها خلال الفترة الانتقالية ، وان مجلس النواب يرى من واجبه فى هذه اللحظة المباركة بالفخر والاعتزاز الموقف المشرف للرئيسين المؤمنين العظيمين شـكرى القوتلى وجمال عبد النـــاصر وجهدهما الميمون الذى حقق للامة العربية أمنية قدمت فى سبيلها

تضحيات ودماء ، وكانت آخر رؤيا أطبقت عليها أعين الشهداء • ان المثل الرائع الذى ضربه فخامة السيد شكرى القوتلى بصدق جهاده وعظيم ايثاره وعميق ايمانه سيظل الهدى الذى تهتدى به أجيال الامة العربية ، وان أعضاء مجلس النواب بموافقتهم وتأييدهم لما تم انما يعبرون عن ارادة الشعب العربى فى الاقليم السورى ويؤدون الامانة ويوفون بالعهد حين أقسموا اليمين الدستورية على العمل لتحقيق وحدة الاقطار العربية • ومجلس النواب يرى فى ترشيح سيادة الرئيس جمال عبد الناصر لرياسة الجمهورية العربية المتحدة الضمانة الاكيدة للسير بالدولة العربية الفتية نحو تحقيق أهداف القومية العربية وتوطيد العدالة والخير والسلام للعرب والانسانية ، وبقلوب مؤمنة نتجه الى الله العلى القدير أن يرعى دولتنا الفتية وأن يجعلها فاتحة جمع شمل الامة العربية فى دولة واحدة •

الدستور المؤقت

للجمهورية العربية المتحدة

١ — الدولة العربية المتحدة جمهورية ديمقراطيـــــة مستقلة ذات سيادة ، وشعبها جزء من الامة العربية •

٢ — الحريات مكفولة فى حدود القانون •

٣ — الانتخاب العـــام حق للمواطنين على النحو المبين بالقـــانون ومساهمتهم فى الحياة العامة واجب وطنى عليهم •

٤ — يتولى السلطة التشريعية مجلس يسمى مجلس الامة • ويشترط أن يكون نصف الاعضاء على الاقل من بين أعضاء مجلس النواب السورى ومجلس الامة المصرى •

٥ — يتولى رئيس الجمهورية السلطة التنفيذية •

٦ ــ الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون أداء وظيفتها الاجتماعية ولا تنزع الملكية الا للمنفعة العامة ومقابل تعويض عادل وفقا للقانون ٠

٧ ــ انشاء الضرائب العامة أو تعديلها أو الغاؤها لا يكون الا بقانون. ولا يعفى أحد من أدائها فى غير الاحوال المبينة فى القانون ٠

٨ ــ القضاة مستقلون لا سلطان عليهم فى قضائهم لغير القانون ٠

٩ ــ كل ما قررته التشريعات المعمول بها فى سورية وفى مصر تبقى سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند اصدارها ، ويجوز الغاء هذه التشريعات أو تعديلها ٠

١٠ ــ تتكون الجمهورية المتحدة من اقليمين هما : سورية ومصر ٠

١١ ــ يشكل فى كل اقليم مجلس تنفيذى برياسة رئيس يعين بقرار من رئيس الجمهورية ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذى ٠

١٢ ــ تحدد اختصاصات المجلس التنفيذى بقرار من رئيس الجمهورية ٠

١٣ ــ تبقى أحكام المعاهدات والاتفاقيات الدولية المبرمة بين كل من سورية ومصر وبين الدول الاخرى ، وتظل هذه المعاهدات والاتفاقيات سارية المفعول فى النطاق الاقليمى المقرر لها عند ابرامها وفقا لقواعد القانون الدولى ٠

١٤ ــ تبقى المصالح العامة والنظم الادارية القائمة معمولا بها فى كل من سورية ومصر الى أن يعاد تنظيمها وتوحيدها بقرارات من رئيس الجمهورية ٠

١٥ ــ يكون المواطنون اتحــادا قوميا للعمل على تحقيق الاهداف القومية ولحث الجهود لبناء الأمة بنــاء سليما من النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وتبين طريقة تكوين هذا الاتحاد بقرار من رئيس الجمهورية ٠

١٦ ــ تتخذ الاجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة ٠

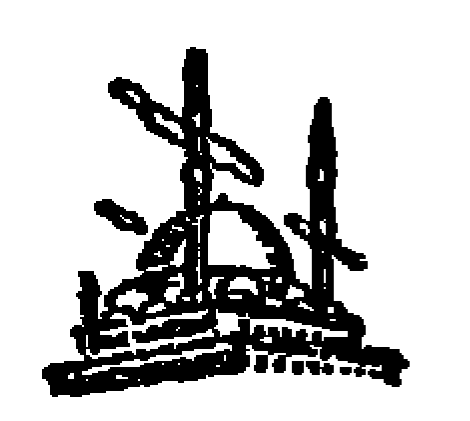
١٧ ــ يجرى الاستفتاء على الوحدة ٠ وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى يوم ٢١ فبراير ٠



RADAR
TIME
NEWSW
TEMPO
مجلة المجلات العالمية
EUROPEO
SPHERE
POST
MATCH
ملتقى أقلام رجالات الفكر والسياسة في الشرق والغرب ..
الأعداد التي صدرت نفدت بعد صدورها بقليل ..
العدد السابع سيكون ابداعا في عالم الصحافة الشهرية العربية الملونة .
صور فنية ولوحات بالألوان للفنانين العالميين ..
مختارات رائعة من الأدب العالمي الرفيع
تصدر في أول كل شهر ..
١٦٠ صفحة بالألوان - الثمن ٤ قروش ..
رئيس التحرير
عبد المنعم شميس
مدرسة الثقافة العالمية التي تلائم الحياة المصرية

فهرس الكتاب

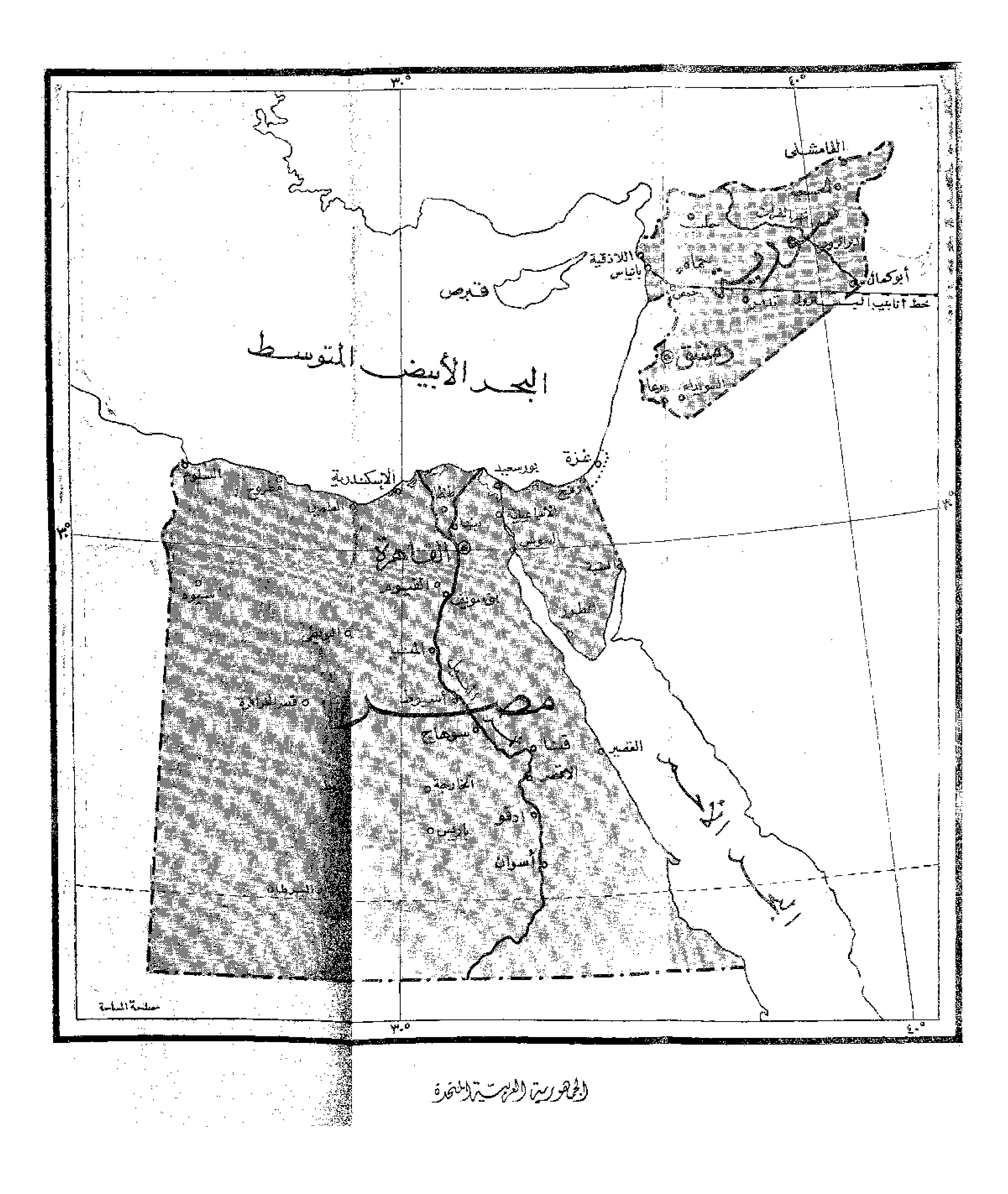
صدر فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨



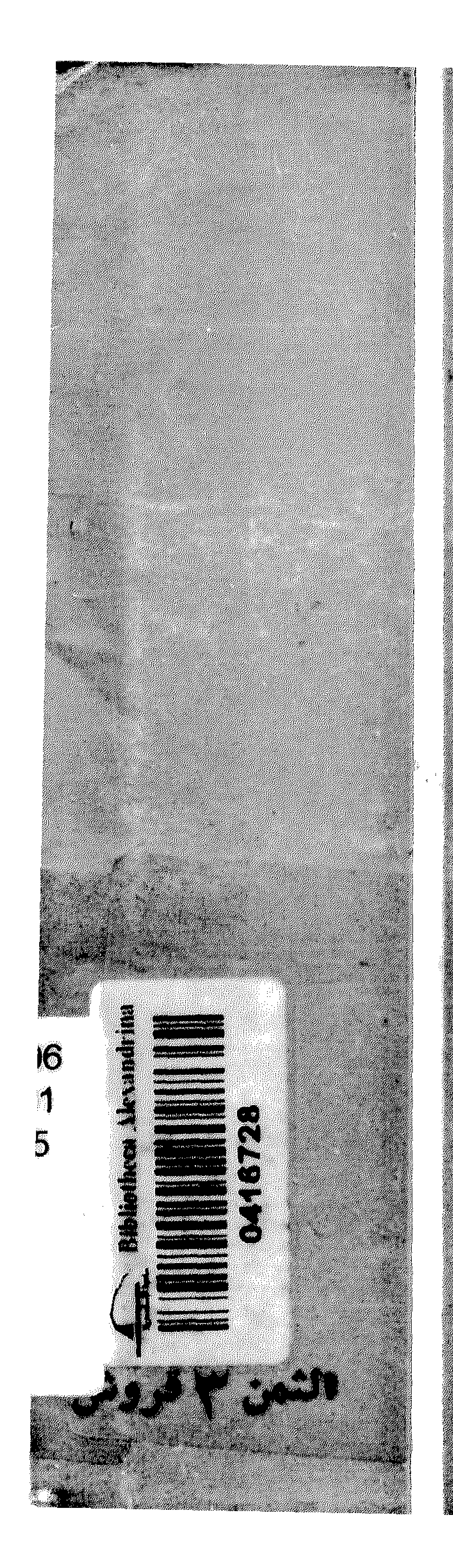
دار القاهرة للطباعة

٢٦ شارع منصور بالقاهرة

تليفون ٣٠٨٠١ — ٣٠٨٢٤



الجمهورية العربية المتحدة



مجموعة عربية ١٠٠٪
تبحث فى مشاكل الساعة الدولية
السياسية والاجتماعية والاقتصادية
من وجهة النظر العربية
تصدرها لجنة
كتب سياسية

صدر من هذه المجموعة خمسون كتابا

الكتاب الحادى والخمسون : دولة كبرى فى الشرق الاوسط

دار القاهرة للطباعة